وقفات مع مفهوم التراث الإسلامي وأهميته

التوحيد

مجلة إسلامية ثقافية شهرية تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية
العدد ٥٩٠ السنة الخمسون - صفر ١٤٤٢ هـ
الثمن ٥ جنيهات

التوحيد هو الأصل في البشر تاريخاً وفطرة

المقريزي أبو النقود

- عقيدة أهل السنة والجماعة في الشهادة بالجنة أو النار لمن مات
- عمل السعاة في طلب الفوز والنجاة
- عَلَمٌ من الرعيل الأول

السلام عليكم

تطاول الأقزام

يتطاول كثير ممن يسمون أنفسهم إعلاميين، أو مثقفين، أو باحثين، أو مفكرين على أطهر خلق الله تعالى من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، والواحد منهم ربما لا يُحسن أن يتوضأ- هذا لو كان يصلي-، ولا يحسن أن يقرأ الفاتحة، أو سورة قصيرة من المصحف.

وشرف الصحابة معروف من كتاب الله، وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام، ومن تاريخهم المجيد في نشر الإسلام، وفتح الأمصار، وملء الأرض عدلًا وقسطًا، بعد أن مُلئت ظلمًا وجورًا، ومع هذا لا يزال الأقزام يتطاولون على الصحابة الأعلام، ويكذبون القرآن الذي قال فيهم: «وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ» (التوبة: ١٠٠).

وبذهاب جيل الصحابة قل الخير، وانتشر الخوف، إلى أن وصلت الأجيال إلى ما نحن فيه من الذلة والهوان.

عَنْ أبي بُرْدَةَ، عَنْ أبيه، رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «... وَأَصْحَابي أَمَنَةٌ لأُمَّتي، فإذا ذَهَبَ أَصْحَابي أَتَى أُمَّتي ما يُوعَدُونَ». (رواه مسلم:٢٥٣١).

فهل يستطيع أقزام عصرنا أن يفتحوا بلدًا واحدًا مما فتحه الصحابة الأعلام، وسُلب من الأمة لضعفها وذلها، أم أن عملهم مجرد استرزاق وأكل عيش؟

التحرير

بريد القراء

«بريد القراء»، أول باب تفاعلي إعلامي منذ القرن الـ ١٨

عزيزي قارئ مجلة التوحيد:

قبل أكثر من قرنين من الزمان كان باب التفاعل الوحيد بين الصحف وبين القراء، هو باب «بريد القراء».

وتطور الوضع الآن إلى رسائل إلكترونية ترسل إلى مواقع الصحف الإلكترونية للتعقيب على المقالات والأخبار مباشرة، بالإضافة إلى البريد العادي.

وتفعيلاً للتواصل بين مجلة التوحيد والقراء الكرام، فإنه تتاح نافذة «بريد القراء» في مجلة التوحيد، فيرجى لمن يرغب بالمشاركة الالتزام بالأصول الصحافية بعدم التعدي أو اتهام أشخاص بلا دليل، وينبغي أن تكون الرسالة ما بين ٢٠٠ و ٥٠٠ كلمة بحد أقصى، وسيتم إهمال الرسائل التي تأتي بلا توقيع أو تحتوي على لغة بذيئة لا تصلح للنشر. والله الموفق.

بسم الله الرحمن الرحيم

فاعلم أنه لا إله إلا الله

رئيس مجلس الإدارة
أ.د. عبد الله شاكر الجنيدي
المشرف العام
د. عبد العظيم بدوي
مستشار التحرير
جمال سعد حاتم
نائب المشرف العام
د. مرزوق محمد مرزوق
اللجنة العلمية
د. جمال عبد الرحمن
معاوية محمد هيكل
د. محمد عبد العزيز السيد

الاشتراك السنوي
١- في الداخل ١٠٠ جنيه توضع في حساب المجلة رقم/١٩١٥٩٠ ببنك فيصل الإسلامي مع إرسال قسيمة الإيداع على فاكس المجلة رقم/ ٠٢٢٣٩٣٠٦٦٢.
٢- في الخارج ٤٠ دولارًا أو ٢٠٠ ريال سعودي أو مايعادلهما

800 جنيهاً
ثمن الكرتونة للأفراد والهيئات والمؤسسات داخل مصر ٣٠٠ دولار خارج مصر شاملة سعر الشحن.

التوحيد هو الأصل في البشر
تاريخا وفطرة

٢

وقفات مع مفهوم
التراث الإسلامي وأهميته

٤٤

٤١

٧٠

علمٌ من الرعيل الأول ٥
باب التفسير ٧
المقريزي أبو النقود ١١
قانون المعرفة الإسلامي ١٥
باب السنة ١٧
معركة صفين ٢١
فقه المرأة المسلمة ٢٥
ميراث الأنبياء ٢٨
كلمة التحرير ٣٢
أخلاقنا من الكتاب والسنة ٣٤
واحة التوحيد ٣٦
دراسات شرعية ٣٨
أخبار العالم الإسلامي ٤٨
اليسر في الزواج ٥٠
تحذير الداعية من القصص الواهية ٥٣
قرائن اللغة والعقل والنقل ٥٧
باب الفقه ٦١
مقالات في معاني القراءات ٦٤
منبر الحرمين ٦٧

جمعية أنصار السنة المحمدية

صاحبة الامتياز
جمعية أنصار السنة المحمدية

رئيس التحرير:
مصطفى خليل أبو المعاطي

رئيس التحرير التنفيذي:
حسين عطا القراط

مدير التحرير
إبراهيم رفعت أبو موته

الإخراج الصحفي:
أحمد رجب محمد
محمد محمود فتحي

ثمن النسخة
مصر ٥٠٠ قرش ، السعودية ٦ ريالات ، الإمارات ٦ دراهم ، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي ، الأردن ٥٠٠ فلس، قطر ٦ ريالات ، عمان نصف ريال عماني ، أمريكا دولاران ، أوروبا ٢ يورو.

إدارة التحرير
٨ شارع قولة عابدين ـ القاهرة
ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ ـ فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢

البريد الالكتروني
MGTAWHEED@HOTMAIL.COM

مطابع الأهرام التجارية ACP

التوحيد هو الأصل في البشر تاريخًا وفطرةً

الرئيس العام **د. عبد الله شاكر**

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فإن الله تبارك وتعالى فطر عباده على توحيده ومعرفته، وقد دلت على ذلك أدلة من القرآن الكريم والسنة النبوية والتاريخ الإنساني، وبيان ذلك من وجوه كما يلي:

الأول: أن الله تعالى خلق آدم بيديه، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، قال تعالى: « إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ » (ص: ٧١-٧٥)، وآدم هو أول المخلوقات من البشر، ومنه خلق الله حواء، وقد أسكنهما ربهما الجنة، ونهاهما عن الأكل من الشجرة، ولما وقعا في مخالفة الأمر، رجعا إلى ربهما سائلَيْن متضرعَيْن طالبَيْن رحمة رب العباد قائلَيْن: « رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ » (الأعراف: ٢٣)، وهذا يدل على إيمانهما بالله ومعرفتهما بحقه وعظمته، وأنه وحده هو الذي يغفر الذنب ويعفو عن السيئات، وقد اصطفى الله آدم بالوحي والنبوة، كما قال تعالى: « إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ » (آل عمران: ٣٣)، وفي اصطفاء الله له وتشريفه بالنبوة والثناء

عليه أمارةً ودلالة على كونه مؤمنا موحدًا؛ لأن الاصطفاء والنبوة لا تكون إلا لأشرف الناس وأزكاهم، وقد قال تعالى: «اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ» (الأنعام: ١٢٤)، قال ابن كثير: «أي: هو أعلم حيث يضع رسالته ومن يصلح لها من خلقه» (تفسير ابن كثير، ج٢/ ص ٢٣٧).

فالنبوة محض امتنان وتفضل من الله على مَن يشاء من خلقه؛ فهي لا تنال بعلم أو رياضة، أو تدرك بكثرة طاعة وعبادة، وإنما هي فضل إلهي واصطفاء رباني يختص الله به من يشاء من عباده، وآدم عليه السلام ممن اصطفاه الله وهداه، وأوحى إليه، فلا يمكن أن يكون على غير التوحيد، وقد أخذ الله العهد والميثاق من بني آدم وهم في صُلب أبيهم آدم على أنه سبحانه وتعالى ربُهم وأشهدهم على أنفسهم بذلك، كما قال تعالى: (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ» (الأعراف: ١٧٢، ١٧٣)، قال الإمام الحافظ ابن كثير رحمه الله: «يخبر تعالى أنه استخرج ذرية بني آدم من أصلابهم، شاهدين على أنفسهم أن الله ربهم ومليكهم، وأنه لا إله إلا هو، كما أنه تعالى فطرهم على ذلك وجبلهم عليه» (تفسير ابن كثير، ج٢، ص ٣٥٧).

والله تبارك وتعالى يحتجَ على المشركين في الموقف يوم القيامة بهذا الإشهاد، كما في حديث أنس في الصحيحين يرفعه: «إن الله يقول لأهون أهل النار عذابًا: لو أن لك ما في الأرض من شيء أكنت تفتدي به؟ قال: نعم، قال: فقد سألتك ما هو أهون من هذا وأنت في صُلب آدم: أن لا تشرك بي، فأبيت إلا الشرك» (صحيح البخاري ٣٣٣٤، ومسلم: ٢٨٠٥).

ومن المعلوم أن الله ما خلق الخلق إلا ليعبدوه وحده، كما قال تعالى: «وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ» (الذاريات: ٥٦)، ولا يمكن أن يكون خلقهم بذلك، ثم يتركهم هملاً فلا يأمرهم بتوحيده وعبادته، وهو بهذا يذكَرهم بفطرتهم التي خلقهم عليها، وهذا دليل على أن الأصل في البشر هو التوحيد.

ثانيا: قال تعالى: «فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ» (الروم: ٣٠)، ففي هذه الآية أمرٌ صريح للنبي صلى الله عليه وسلم أن ينصب وجهه للدين الحق وأن يلزم الحنيفية التي فطر الله الناس عليها؛ من الإيمان به وتوحيده وهو الدين القيِّم المستقيم الذي لا عوج فيه البتة.

قال ابن كثير رحمه الله: «يقول تعالى: فسدد وجهك واستمر على الدين الذي شرعه الله لك، دين الحنيفية ملة إبراهيم الذي هداك الله لها، وكمّلها لك غاية الكمال، وأنت مع ذلك لازم فطرتك السليمة التي فطر الله الخلق عليها، فإنه تعالى فطر خلقه على معرفته وتوحيده، وأنه لا إله غيره، وقوله تعالى: «لا تبديل لخلق الله» قال بعضهم: معناه: لا تبدلوا خلق الله، فتغيّروا الناس عن فطرتهم التي فطرهم الله عليها، فيكون خبرا بمعنى الطلب، كقوله تعالى: «ومن دخله كان آمنا»، وهذا معنى حسن صحيح» (تفسير ابن كثير، ج٣، ص ٥٨٥)، وقال ابن القيم في كلامه حول هذه الآية: «فقد تبين بدلالة الكتاب والسنة والآثار، واتفاق السلف على أن الخلق مفطورون على دين الله الذي هو معرفته والإقرار به، ومحبته والخضوع له، وأن ذلك بموجب فطرتهم ومقتضاها» (شفاء العليل، ج٢، ص ٣٣٥).

ومما يدل أيضا على أن الأصل في البشر هو التوحيد قول الله تعالى: «كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» (البقرة: ٢١٣).

والقول الصواب في الآية: أن الناس كانوا أمة واحدة مجتمعة على دين واحد وملة

واحدة، ثم اختلفوا، قال الإمام الحافظ ابن جرير رحمه الله: «وهم الذين كانوا بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم كانوا على شريعة الحق، فاختلفوا بعد ذلك، ثم ساق بإسناده إلى ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «كان بين نوح وآدم عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق، فاختلفوا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين، قال: وكذلك هي في قراءة عبد الله: كان الناس أمة واحدة فاختلفوا» (تفسير ابن جرير، ج٢، ص ١٩٤).

وهذا هو الصواب الذي تؤيده الأدلة، وقد رجحه الحافظ ابن جرير رحمه الله، وقد ذهب فريق آخر إلى أن الناس كانوا أمة واحدة على الكفر، وهذا قول مرجوح، وقد تعرض لهذه الآية شيخي العلامة الدكتور/ محمد خليل هراس رحمه الله، وذكر الأقوال فيها ونسب القول الأول إلى الجمهور من أربعة أوجه (انظر كتاب دعوة التوحيد، ص ٨٧- ٩٧).

وقد أشاد شيخي العلامة عطية محمد سالم المدرس بالجامعة الإسلامية والقاضي بمحكمة المدينة النبوية سابقا، بكلام الدكتور/ هراس حول هذه الآية، ومما قال: "أنا لم أقف على دراسة علمية لهذه الآية لأحد من العلماء المعاصرين، كدراسة الشيخ خليل هراس". رحم الله الجميع.

ثالثا: وبدت أحاديث نبوية تصرح بوضوح أن الأصل من بني آدم هو التوحيد، منها ما أخرجه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «كل مولود يُولد على الفطرة، فأبواه يهوّدانه أو ينصّرانه أو يمجّسانه» (صحيح البخاري: ١٣٥٥).

ورواه مسلم بزيادة في آخره، وهي أن أبا هريرة رضي الله عنه قال: «واقرأوا إن شئتم: ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾» (الروم: ٣٠) (صحيح مسلم: ٢٦٥٨).

والحديث صريح وواضح أن كل مولود يُولد على الفطرة، والمراد بها الإسلام، قال ابن حجر: من أشهر الأقوال: أن المراد بالفطرة الإسلام.. وأجمع أهل العلم بالتأويل على أن المراد بقوله تعالى: (فطرت الله التي فطر الناس عليها) الإسلام (فتح الباري،ج٣، ٢٤٨).

وقد أفاد الحديث أن العباد كلهم مفطورون على الإسلام والإيمان الصحيح، وأن التغيير أمرٌ جاء بسبب عوامل خارجية، وقد جاء في هذا الحديث أن التغيير الذي يقع على الأصل بسبب الأبوين، وقد ذكر النووي رحمه الله: عن المازري أنه قال في الفطرة المذكورة في الحديث: "هي ما أخذ عليهم في أصلاب آبائهم" (شرح النووي على مسلم، ج١٦، ص ٢٠٨).

وفي صحيح مسلم من حديث عياض بن حمار المجاشعي رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم في خطبته: «ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا: كل مال نحلته عبدا حلال، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا» (صحيح مسلم: ٢٨٦٥).

وقد دلّ الحديث أن العباد جميعًا وُلدوا على الحنيفية السمحة وهي الإسلام، وأن الشياطين أزالتهم وذهبت بهم إلى الكفر والضلال، وأن الإنسان لو تُرك على أصل خلقته دون مؤثرات خارجية لبقي على الإسلام.

قال البغوي رحمه الله في معنى الحديث: معناه أن كل مولود يُولد في مبدأ الخلقة على الفطرة، أي: على الجبلة السليمة والطبع المتهيئ لقبول الدين، فلو ترك عليها لاستمر على لزومها؛ لأن هذا الدين مرجوح حُسنه في العقول، وإنما يعدل عنه من يعدل إلى غيره؛ من آثار النشوء والتقليد، فلو سلم من تلك الآفات لم يعتقد غيره (تفسير البغوي، ج٣، ص ٤٨٣).

الحمد الله تبارك وتعالى أن أبقانا على الفطرة والحنيفية السمحة دين الإسلام.

والحمد لله رب العالمين.

فضيلة شيخنا ابن عبد الوهاب البنا

عَلَمٌ من الرعيل الأول

د. عبد الله شاكر

الحمد لله القائل في محكم التنزيل: «كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ» (الرحمن: ٢٦، ٢٧).

والصلاة والسلام على من خاطبه الله بقوله: «إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ» (الزمر: ٣٠). وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد...

فإنه في يوم السبت الثالث من شهر الله المحرم عام ١٤٤٢هـ الموافق ١٢/٨/٢٠٢٠م رحل عن عالمنا شيخنا الهمام/ حسن بن عبد الوهاب البنا رحمه الله تعالى، والشيخ علم من الرعيل الأول في أنصار السنة المحمدية؛ حيث عاصر جميع رؤسائها وعلمائها إلى أن توفاه الله تعالى، والشيخ رحمه الله تعالى نشأ في بيئة علمية محافظة على أركان الإسلام.

وقد درس والده في الأزهر وحصل فيه على أعلى الشهادات، وقد استقر الأمر به إلى سلوك المنهج الحق، منهج أهل السنة والجماعة.

وكان شقيقه الأكبر شيخنا محمد بن عبدالوهاب البنا رحمه الله تعالى، من أهل العلم البارزين السالكين منهج السلف القويم، وقد برع فيه، وكان علماء المملكة العربية السعودية يجلونه ويعرفون قدره ومكانته، وقد عاش بينهم ردحًا من الزمن.

وقد استفاد منه أخوه شيخنا/ حسن رحمهما الله تعالى، كثيرًا من العلوم، وقد ذكر الشيخ حسن عن أخيه أنه أول معلم وموجّه له وللعائلة كلها، والشيخ حسن رحمه الله تعالى كان شديد العناية بالمنهج السلفي، حريصًا على نشره والدفاع عنه في وجه مخالفيه، وقد وجد بغيته في جماعة أنصار السنة المحمدية، وكان ذلك في شبابه وبداية طلبه العلم.

وفي ذلك يقول الشيخ عن نفسه: «تأثرت -والحمد لله- بالدعوة السلفية، فأخذت أقرأ بعض الكتب التي عرفني بها شقيقي وأخذت أصحبه إلى جماعة أنصار السنة المحمدية، وتعرفت بفضيلة الشيخ/ محمد حامد الفقي وعلماء الجماعة رحمهم الله تعالى، وكان الشيخ/ حسن يثني على الشيخ حامد كثيرًا، ويذكر عنه أنه كان يعيش حياته للعلم وخدمة أهله، وقد ذكر لي شخصيًا أنه لم يشاهد الشيخ حامد في مرة من المرات بعيدًا عن الدعوة، فكان إذا قابله رآه خطيبًا، أو محاضرًا، أو كاتبًا لشيء من العلم، وهكذا».

ولم يقتصر الشيخ رحمه الله على الشيخ حامد وشقيقه الشيخ/ محمد البنا، بل تلقى العلم على أئمة آخرين كالشيخ العلامة/ عبد الرزاق عفيفي، والشيخ/ عبد الرحمن الوكيل، والشيخ/ محمد خليل هراس، رحمهم الله تعالى.

وقد مكث الشيخ في أول حياته في مصر بعد أن تعرف على شيوخ الجماعة يخطب ويحاضر ويلقي الدروس العلمية، وكان يركز على التوحيد وبيان منهج وأصول أهل السنة والجماعة، ولست مبالغًا إذا قلت: بأنه كان في كل لقاء يتكلم عن قضايا التوحيد ويوصي

بذلك، ويحذر من الفرق المخالفة لمنهج أهل السنة والجماعة.

ثم سافر الشيخ إلى المملكة العربية السعودية بطلب من سماحة الشيخ/ عبد العزيز بن باز ليدرّس في الجامعة الإسلامية، وكان الشيخ ابن باز رئيسا للجامعة وقتئذ، وأثناء وجوده بالمدينة مارس العمل الدعوي بصورة واسعة، واجتهد مع طلابه في الجامعة وخارجها، وكانت رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء تكلفه بإلقاء الدروس في المسجد النبوي أثناء فترة الحج، وكان نافعا ومفيدا، لما عُرف عنه من سهولة العبارة ولين الجانب والخُلق الحسن.

كما كانت إدارة الإفتاء تستضيفه معها في الحج كل عام، ويلقي دروسا في مخيمات الحجاج، في منى وعرفات،-وقد شاهدت ذلك بنفسي- وفي المدينة النبوية تعرف الشيخ ورافق مجموعة من أئمة أهل العلم البارزين، على رأسهم سماحة شيخنا عبد العزيز بن باز رحمه الله، والشيخ/ حماد الأنصاري، وشيخنا/ عبد المحسن العباد، وشيخنا الدكتور/ ربيع المدخلي، وشيخنا/ محمد أمان الجامي، والعلامة/ محمد ناصر الألباني، وغيرهم كثير رحمهم الله تعالى.

وللشيخ فضائل لا تنسى على طلابه وزملائه ومحبيه، وكان يحرص على دعوة إخوانه في بيته أسبوعيًا بعد صلاة الجمعة، ويتناولون طعام الغداء عنده، وكنت أحضر بعض هذه اللقاءات، وما زال زملاؤه وطلابه يذكرون عنه هذا الكرم، والفضل والإحسان إليهم، وفي حج عام ١٤٤٠هـ، قابلت زميلي الشيخ/ عزيزو من الجزائر، وكان تلميذا عند الشيخ، وسألني عنه، وذكر لي ذلك عنه.

وبعد رحلة عطاء واسعة في الجامعة الإسلامية وغيرها عاد الشيخ إلى مصر في عام ١٩٨٥م، ومارس الدعوة في مساجد أنصار السنة، وكان عضوًا في إدارة المركز العام لفترة من الزمن، كما ترأس فرع عابدين.

ولم يقف عطاء الشيخ ودعوته على مصر والسعودية فحسب، بل سافر إلى عدد من البلاد داعيًا وموجهًا، فسافر إلى الكويت بدعوة كريمة من الدكتور/ حمد العثمان، كما سافر إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وألقى دروسًا في بعض مدنها، وقد وفقه الله فشرح هناك أصول السنة للإمام أحمد بن حنبل، والأصول الثلاثة لابن عبد الوهاب، وقراءة ما يسّره الله من تفسير السعدي، كما سافر إلى دولة السويد، وتونس.

وكان للشيخ مكانة عالية عند والدي -رحمهما الله-، وقد تعرّف والدي على الشيخ لأول مرة في بداية السبعينيات من القرن الماضي، يعني نحو ما يقرب من نصف قرن، وكان ذلك في مسجد التوحيد بمدينة قويسنا بمحافظة المنوفية، وكان والدي يحبه كثيرا، ويُثني عليه ويزوره، كما كان الشيخ/ حسن يحرص على زيارة والدي في بيته ببنها كل شهر، وذلك أثناء عودته من طنبشا التي كان يحاضر فيها شهريًا، وأحيانًا كان يُرافقه بعض طلابه، وكنت أجلس بينهما مستفيدا ومستمتعا بحديثهما.

كما أنني تشرفت بمعرفة الشيخ منذ خمس وأربعين سنة؛ حيث التقيته في المعهد الثانوي الذي كان يدرس فيه في الجامعة الإسلامية بداية وصولي إلى المدينة النبوية، وكان ذلك في عام ١٣٩٥هـ، الموافق عام ١٩٧٥م.

وقد سافرتُ معه إلى العمرة، وزرنا فضيلة شيخنا محمد البنا في جدة، كما حججتُ معه في عام ١٩٨٥م، وكثيرًا ما كنت أتردد عليه في بيته أثناء إقامتنا في المدينة النبوية، وكان رحمه الله كريمًا متواضعًا، فكان يبادلني الزيارة في بيتي، وأنا في منزلة أولاده، ومما يهوّن مصيبة فقده أنه مات على التوحيد والسُّنَّة، ومن مات عليهما فقد مات على الخير كله.

أسأل الله تعالى أن يُسكنه ووالدي وأئمتنا ونحن معهم الفردوس الأعلى من الجنة، وأن يُمتعنا بالنظر إلى وجه الله الكريم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

سُورَةُ الْحُجُرَات

(٦)

إعداد **د. عبد العظيم بدوي**

قال الله تعالى: « وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٩) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٠) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ » (الحجرات: ٩-١١).

الحمد لله والصلاة والسلام علي رسول الله وبعد:

حُكمُ مُرتكب الكبيرة:

فقد قدمنا في العدد السابق تفسير الآيتين (٩-١٠)، وفيهما دليل على أنَّ البَغي لا يُزيل اسْم الايمان، لأنَّ الله تعالى سمَّاهم إخوة مُؤمنين مع كوْنهم باغين في قوله تعالي: « إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ » يدُل عليه ما رُوي عن الحارث الأعور أن عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه سُئل- وهو القدْوة في قتال أهْل البغي- عن أهْل الجمل وصفين: أمُشركون همْ؟ فقال: لا، من الشرْك فرُّوا، فقيل: أمُنافقون همْ؟ فقال: لا، إنَّ المُنافقين لا يذكُرون الله إلا قليلاً. قيل: فما حالهُمْ؟ قال: إخواننا بغوْا عليْنا. (معالم التنزيل: ٥/٢٠١).

وبهذه الآية استدل البُخاريُّ -رحمهُ الله- على أنَّ مُرتكب الكبيرة لا يكفُر، ولا يُسْلبُ اسْم الايمان، فترجم في كتاب الايمان منْ صحيحه: (بابُ المعاصي منْ أمْر الجاهليَّة ولا يُكفَّرُ صاحبُها بارْتكابها إلا بالشرْك، لقوْل النبيِّ صلى الله عليه وسلم: «إنَّك امْرُؤٌ فيك جاهليَّة»، وقوْل الله تعالى: « إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا » (النساء: ٤٨)، ثمَّ قال: بابُ وإن طائفتان من المُؤمنين اقتتلوا فأصْلحوا بيْنهُما فسمَّاهُمُ المؤمنين. (فتح الباري: ١/٨٤).

قال الحافظ ابْن حجر-رحمهُ الله-: مُحصَّل الترْجمة أنَّهُ لمَّا قدَّم أنَّ المعاصي يُطلق عليْها «الكفْر» مجازًا على إرادة كفْر النِّعْمة لا كفْر الجُحود، أراد أنْ يُبيِّن أنَّهُ كُفْرٌ لا يُخْرجُ عن الملَّة، خلافًا للخوارج الَّذين يُكفِّرُون بالذُّنوب، ونصُّ القُرْآن يرُدُّ عليْهمْ، وهُو قوْلُه تعالى: «ويغْفرُ ما دُون ذلك لمن يشاءُ» ، فصيَّر ما دُون الشرْك تحْت إمْكان المغْفرة، واسْتدلَّ البُخاريُّ

بقول النبي صلى الله عليه وسلم لأبي ذر: «إنك امرؤ فيك جاهلية»، ليبين أن من بقيت فيه خصلة من خصال الجاهلية سوى الشرك لا يخرج عن الإيمان بها، سواء كانت من الصغائر أم الكبائر. واستدل أيضا على أن المؤمن إذا ارتكب معصية لا يكفر، لأن الله تعالى أبقى عليه اسم الايمان فقال: (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا)، ثم قال: ﴿ إنما المؤمنون إخوة ﴾. واستدل أيضا بقوله صلى الله عليه وسلم: «إذا التقى المسلمان بسيفيهما»، فسماهما مسلمين مع التوعد بالنار. (فتح الباري:١/ ٨٤و٨٥).

فإن قيل: فما تقول في قول النبي صلى الله عليه وسلم: «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر»، (صحيح البخاري: ٤٨)، وقوله صلى الله عليه وسلم: «لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض»؟ (صحيح البخاري ٧٠٧٧).

فالجواب: كما قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله-: أنه صلى الله عليه وسلم لم يرد حقيقة الكفر التي هي الخروج عن الملة، بل أطلق عليه الكفر مبالغة في التحذير، معتمدا على ما تقرر من القواعد أن مثل ذلك لا يخرج عن الملة، مثل حديث الشفاعة، ومثل قوله تعالى: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ (فتح الباري: ١/ ١١٢).

ولذلك قال القاضي عياض: -رحمه الله- قوله صلى الله عليه وسلم: «وقتاله كفر» أي قتاله من أجل إسلامه، واستحلال ذلك منه كفر. وقيل: ذلك من أفعال أهل الكفر، أو يكون كفر طاعة وكفر نعمة. وقيل: كفر بحق المسلم وجحد له بالمعنى، لاظهاره إباحة ما أنزل الله من التحريم ومن قتاله، وترك ما أمر به من محبته واكرامه وصفته، فهو كفر بفعله وعمله لا بقوله واعتقاده.

وأما قوله صلى الله عليه وسلم: «لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض»: فقد نهاهم به عن التشبه بالكفار في حالة قتل بعضهم بعضا، ومحاربة بعضهم بعضا، وهذا أولى ما يتأول عليه الحديث. ويؤيده ما روي مما جرى بين الأنصار بمحاولة يهود، وتذكيرهم أيامهم، وحروبهم في الجاهلية، حتى ثار بعضهم إلى بعض في السلاح فنزلت: « يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ » (آل عمران: ١٠٠- ١٠١) ، أي تفعلون فعل الكفار، أو نهاهم عن جحد ما أمرهم به من تحريم دمائهم، وكفرهم في ذلك بقتالهم لا بقولهم واعتقادهم. (إكمال المعلم: ١/ ٣٢٤، صحيح مسلم بشرح النووي: ٢/ ٥٤و٥٥).

أقوال أصحاب العقيدة:

قال الإمام الطحاوي- رحمه الله-: ولا نكفر أحدا من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله، ولا نقول: لا يضر مع الايمان ذنب لمن عمله. ونرجو للمحسنين من المؤمنين أن يعفو عنهم ويدخلهم الجنة برحمته، ولا نأمن عليهم، ولا نشهد لهم بالجنة، ونستغفر

لُسيئهمْ ونَخافُ عليهمْ ولا نقنطُهُمْ، والأمْنُ والإياسُ ينْقلان عنْ ملة الإسْلام، وسبيل الحق بيْنهُما لأهْل القبلة. (متن العقيدة الطحاوية تعليق الألباني: ٤٠-٤٢).

ثمَّ قال مُبيِّنًا حُكم مُرْتكِبِ الكبيرة في الآخرة: وأهل الكبائر منْ أمّة مُحمّد صلى الله عليه وسلم في النّار لا يُخلّدون، إذا ماتوا وهُمْ مُوحّدون، وإنْ لمْ يكونوا تائبين، بعْد أنْ لقوا الله عارفين، وهُمْ في مشيئته وحُكْمه، إنْ شاء غفر لهُمْ وعفا عنْهُمْ بفضْله، كما ذكر عز وجل في كتابه: ﴿ويغْفرُ ما دُون ذلك لمن يشاءُ﴾، وإنْ شاء عذبهُمْ في النار بعدْله ثمّ يُخْرجُهُمْ منْها برحْمته وشفاعة الشّافعين منْ أهْل طاعته، ثُمّ يبْعثُهُمْ إلى جنّته. (متن العقيدة الطحاوية تعليق الألباني: ٤٥).

تعظيمُ حُرمات المُسلمين

وأما الآيتان الحادية عشرة والثانية عشرة فقد تضمنتا مبدأ من المبادئ الأساسيّة التي يقُومُ عليْها المُجْتمعُ المسْلمُ، وهو يعظم حرمات المسلمين.

ولقدْ كان النّبيُّ صلى الله عليه وسلم يهْتمُّ بترْسيخ هذا المبْدأ وتثْبيته، فكان يخْطُبُ به في المحافل العامّة والمجامع الكبيرة، وكان صلى الله عليه وسلم يقول: «كل المُسْلم على المسْلم حرامٌ، دمُهُ، ومالُهُ، وعرْضُهُ» (صحيح مسلم ٢٥٦٤).

وأكّد ذلك تأكيدًا عظيمًا في حجّة الوداع، فخطب بهذا المبْدأ يوْم عرفة، ويوْم النّحْر، وثاني أيام التّشْريق، فقال صلى الله عليه وسلم: «إنّ دماءكُمْ، وأمْوالكُمْ، حرامٌ عليْكُمْ، كحُرْمة يوْمكُمْ هذا، في شهْركُمْ هذا، في بلدكُمْ هذا». (صحيح البخاري ١٧٤١).

وهاتان الآيتان منْ سُورة الحُجُرات توْجيهٌ عامٌ للمُؤْمنين في كل زمان ومكان، صيانةً لأفرادهمْ، ووقايةً لأسرهمْ ولمجْتمعهمْ، من الانْزلاق في هذا السّداسيِّ الجاهليّ: السُّخْرية، واللمْز، والتّنابُز بالألْقاب، وسُوءُ الظّنّ، والتّجسُّس، والغيبة. وهذه آفاتٌ تنْهكُ المجْتمعات، وتفْتكُ بها، وتهْدمُها منْ أساسها.

ولقدْ تقاسمت الآيتان الآيات النّهْيَ عنْ هذا السّداسيّ الجاهليّ بالسّويّة:

فالآية الأولى تضمّنت النّهْي عنْ: السُّخْرية، واللمْز، والتّنابُز بالألْقاب.

والآية الثّانية تضمّنت النّهْي عنْ: سُوء الظّنّ، والتّجسُّس، والغيبة.

والآيتان بذلك تترابطان وتتكاملان وتتعاونان في نهْي المُؤْمنين عنْ هذا السّداسيّ الجاهليّ، ذلك أنّهُ إذا ذاع كلُّهُ أوْ بعْضُهُ في مُجْتمع ضاعتْ منْ هذا المجْتمع المحبّةُ والمودّةُ، وضاع السّلامُ والأمانُ، والأصْلُ في المُؤْمنين أنّهُمْ وحْدةٌ واحدةٌ، يسُوءُ الفرْد ما يسُوءُ المجْتمع، ويسُوءُ المجْتمع ما يسُوءُ الفرْد، كما قال رسُول الله صلى الله عليه وسلم: «مثل المُؤْمنين في تراحُمهمْ وتوادِّهمْ وتعاطُفهمْ كمثل الجسد إذا اشْتكى عضْوًا تداعى لهُ سائرُ جسده بالسّهر والحُمّى». (صحيح البخاري ٦٠١١).

تحْريمُ السُّخْرية من

النَّاس:

ولقد بدأ الله سبحانه بهذا النِّداء الحبيب، ليثير في قلوب المؤمنين العاطفة، ويحثُّهم على سرعة الاستجابة لما ينهاهم عنه بعد هذا النِّداء، فالإيمان يقتضي من المؤمنين أن يقوموا بالواجبات، ويتركوا المحرَّمات: «يا أيُّها الذين آمنوا لا يسخر قوم» لم؟ «عسى أن يكونوا خيرًا منهم»، «ولا نساءٌ من نساء» لم؟ «عسى أن يكنَّ خيرًا منهنَّ»، فالسُّخرية من النَّاس غير جائزة، لا يجوز أن يسخر غنيٌّ من فقير، ولا قويٌّ من ضعيف، ولا صحيحٌ من سقيم، ولا ذكيٌّ من بليد، ولا يجوز أن تسخر غنيَّةٌ من فقيرة، ولا سويَّةٌ من مشوَّهة، ولا جميلةٌ من دميمة، ولا شابَّةٌ من عجوز، فإنَّ هذه القيم ليست هي التي يوزن بها النَّاس، إنَّما هناك قيمٌ أخرى يعلمها الله عز وجل، يزن بها العباد، وإن كانت تلك القيم خافية على كثير من النَّاس.

هذا ما قرَّره الإسلام ووضَّحه النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم توضيحًا رائعًا:

عن سهل رضي الله عنه قال: مرَّ رجلٌ على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «ما تقولون في هذا». قالوا: حريٌّ إن خطب أن ينكح، وإن شفع أن يُشفَّع، وإن قال أن يُستمع. قال: ثمَّ سكت فمرَّ رجلٌ من فقراء المسلمين فقال: «ما تقولون في هذا». قالوا: حريٌّ إن خطب أن لا يُنكح، وإن شفع أن لا يُشفَّع، وإن قال أن لا يُستمع. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هذا خيرٌ من ملء الأرض مثل هذا» (صحيح البخاري ٥٠٩١).

«يا أيُّها الذين آمنوا لا يسخر قومٌ من قومٍ عسى أن يكونوا خيرًا منهم» وعسى من الله موجبة، فمهما أحسنت الظنَّ بنفسك، ورأيت أنَّك على خير، فإنَّ في المؤمنين من هو عند الله خيرٌ وأكرم منك، فإيَّاك والسُّخرية من المؤمنين، وإيَّاك والاستهزاء بهم.

إنَّ السُّخرية من المؤمنين والاستهزاء بهم عملٌ من أعمال الكفَّار والمنافقين، فكيف يستبيح مؤمنٌ لنفسه أن يعمل عمل الكفَّار والمنافقين فيسخر من المؤمنين ويستهزئ بهم؟!

يقول الله تعالى عن الكفار: «إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ (٢٩) وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ (٣٠) وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ (٣١) وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ (٣٢) وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ (٣٣) فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ (٣٤) عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ (٣٥) هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ» (المطففين: ٢٩-٣٦).

ويقول تعالى عن المنافقين: «وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ» (البقرة: ١٤).

فالله الله يا عبد الله، لا تسخر من مؤمن، ولا تستهزئ به، فإنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم قال: «بحسب امرئ من الشَّرِّ أن يحقر أخاه المسلم» (صحيح مسلم ٢٥٦٤).

إنَّ النَّاس لا يوزنون بالمظهر والصُّورة، وإن كانوا ذوي منظرٍ حسنٍ وصورةٍ جميلة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنَّ الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم» (صحيح مسلم ٢٥٦٤).

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

المقريزي أبو النقود

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد

فقد صنَّف فقهاء المسلمين في العديد من المسائل المالية والاقتصادية بصورة متفرقة في كتبهم، بل إننا نجد بعض المسائل التي تُطرح في عصرنا الحاضر قد تناولها هؤلاء الفقهاء؛ فهذا العز بن عبد السلام يبين أُسس نظرية «المنفعة الحدية» التي تعتبر أن منفعة السلعة تكمن في قدرتها على إشباع حاجة مَن يحصل عليها، وبالتالي فبعد اكتفائه منها تتراجع قيمتها. وينقل ابن عبد السلام قول الإمام الشافعي: «إن الفقير ينظر إلى الدينار نظرة مختلفة عن نظرة الثري له؛ لتباين نظرتهما إلى قيمته.

إعداد **د. أيمن خليل**

ونعرض فيما يلي لأحد المصنفات التي تتصل بجانب المعاملات وتعنى بمسائل اقتصادية، وهذا المصنف هو «إغاثة الأمة بكشف الغمة» للمقريزي؛ حيث يُعَد تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي بن عبد القادر الحسيني العبيدي المقريزي (المتوفى: ٨٤٥هـ) أول مؤرخ مصريّ يتعرَّض للناحية الاجتماعية الاقتصادية من تاريخ مصر، فقد عاش في العصر المملوكي فشاهد وسمع عن الكثير من المجاعات التي ألمت بمصر (ذكر منها في كتابه ستاً وعشرين مجاعة) وخاصة التي عايشها في زمنه فألف كتابه «إغاثة الأمة بكشف الغمة» للنظر والبحث عن أسبابها. (ينظر: إغاثة الأمة بكشف الغمة، لتقي الدين أبي العباس أحمد بن علي المقريزي ت ٨٤٥ هـ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية- الهرم، تحقيق د. كرم حلمي فرحات، الطبعة الأولى، ١٤٢٧ هـ- ٢٠٠٧م).

وتناول المقريزي في هذا الكتاب تاريخ المجاعات في مصر وأسبابها، وصور الأزمات الاقتصادية والمجاعات التي عاشتها مصر أحسن تصوير، مبينا ما لاقاه جموع المصريين

من ضروب المحن والمآسي، وحاول المقريزي أن يذكر من الأزمات والمحن والمجاعات التي مرَت بها مصر فيما مضى، ما يتضح به أنها كانت أشد وأصعب من هذه المحن التي نزلت بالناس في هذا الزمان بأضعاف مضاعفة، حتى ولو كانت الأزمة الحالية مشاهدة والماضية خبرًا، وأكد المقريزي أن المصائب والمحن تعاظمت على الناس في مصر بحيث ظن الناس أن هذه المحن لم يكن فيما مضى مثلها، ولا مر في الزمان شبهها حتى قالوا إنه لا يمكن زوالها. (إغاثة الأمة بكشف الغمة، المرجع السابق، ص ١٣).

وبعد أن عرض المقريزي للعديد من المجاعات السابقة التي عاشتها مصر، بدأ يبحث عن سبب هذه المحن والأزمات ليجيب عن سؤال محدد: هل هذه المصائب قدر محض لا دخل لنا في حصوله ولا سبيل لنا إلى دفعه، وانما علينا فقط الصبر عليها، أم أن لها أسبابًا يمكن اجتنابها والتحرز منها؟. وانتهى إلى نتيجة واضحة في عبارة لا لبس فيها ولا غموض وهي:

أن ما نزل بالناس من مصائب له سببان:

السبب الأول: أن المجاعات عقوبة من الله على الذنوب والمعاصي، وخاصة لانتشار شرب الخمر بمصر بين الأمراء والعوام؛ فإن المجاعات التي عانت منها مصر في زمنه هي عقوبة من الله سبحانه على الذنوب والمعاصي التي يقترفونها، ويبين كيف انتشرت الخمر بمصر وكثر شربها بين مختلف طبقات المجتمع، وكيف أن رجال الدين حدثوا السلطان بوجوب تغيير هذه المنكرات حتى يرفع الله هذا البلاء عن البلاد والعباد. ويذكر المقريزي في كتابه « السلوك لمعرفة دول الملوك » أن السلطان ندب الأمير سيف الدين الشيخي من المماليك البرجية وأمره ألا يدع بيتًا بمصر والقاهرة من بيوت أعلى الناس وأدناهم يبلغه أن فيه خمرًا إلا ويكبسه (يداهمه)، ويكسر ما فيه، ويبين أنه كان فيهم عدة من الأمراء والكتاب والأجناد والتجار.

يقول المقريزي: «... وأخذ في كبس البيوت: فكان الرجل لا يشعر إلا به في مماليكه وقد هجم عليه ومعه النجارون والبناؤون لتفقد مطامير الخمر واخراجها؛ فإذا ظفر بها كسر سائر ما فيها، فنزل بالناس من ذلك بلاء شديد وافتضح كثير من المستورين، ونهب من بيوتهم أشياء لكثرة ما كان يجتمع من العامة، ولفرار صاحب البيت خوفًا على نفسه. وأخذ الأجناد وغيرهم من ذلك ما أغناهم، وأخذ الناس يدل بعضهم على بعض وتشفي جماعة من أعاديهم بذلك، وكُبست أيضًا دور اليهود والنصارى وأريق ما فيها من الخمور... وتعدى الأمر دور الأمراء فكُبست دور من عُرف بشرب الخمر منهم، ومنها دار الأمير علاء الدين مغلطاي المسعودي أحد أمراء الألوف من البرجية، فأزال الله بذلك فسادًا كبيرًا، ووقع أيضًا بسببه من نهب الأموال فساد كبير، فلما اشتد الأمر تجمع الأمراء وحدثوا السلطان فيه فكف عنه...» (السلوك لمعرفة دول الملوك: أبو العباس تقي الدين؛ أحمد بن علي ابن عبد القادر الحسيني العبيدي المقريزي (المتوفى: ٨٤٥هـ)، دار الكتب العلمية- بيروت، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م، ج٢، سنة تسع وسبعمائة، ص ٤٣٠).

وينبغي أن يلاحظ أن شارب الخمر- التي هي أم الخبائث- مرتكب لكبيرة من أكبر الكبائر، إلا أنه طالما استتر بها فلا ينبغي أن يُقتحم عليه داره ولا أن يُهتك ستْره، وانما يكون الواجب حينئذ أن يقوم العلماء والدعاة بالوعظ والنصح والتذكير بعقاب الله والتخويف به، فلا يقوم السلطان بما رواه المقريزي إلا إذا كانت معاقرة الخمر في العلن، ومن جهة أخرى لا ينبغي أن تقتحم دور النصارى واراقة ما بها من خمر لأن الخمر وان لم تكن مالا مصونا

عند المسلم إلا أنها مال عند النصارى؛ لكونهم يعتقدون حلها.

ومن جهة أخرى فما يثير التعجب هو سرقة الجند والعوام للبيوت التي اقتحموها لإزالة المنكر منها- وهي الخمر- فوقعت منهم منكرات أشد: منها انتهاك حرمة البيوت بغير إذن أصحابها، ونهب أموالهم، والسرقة تحت رهبة هذه الجموع وسطوتها، وهذه كلها كبائر لا تقل عن شرب الخمر (بل إن عقوبة السرقة أشد من عقوبة شرب الخمر)، وهذا الصنيع يصادم ما اتفق عليه العلماء من وجوب إزالة المنكر بغير منكر. ولذلك كان على السلطان اختيار من يجمع بين العلم الشرعي والقوة في الحق.

السبب الثاني: أن المجاعات ناتجة عن سوء تدبير الحكام وعدم نظرهم في مصالح العباد: لم يقف المقريزي في بحثه عن أسباب هذه المجاعات إلى فساد الرعية، وانما بين أن السبب الأكبر ناتج عن سوء تدبير الحكام وغفلتهم عن النظر في مصالح العباد، وأن هذه الأزمة التي تمر بها مصر هي كأغلب ما مر من الأزمات والمصائب والمحن التي مرت بها فيما مضى سببها غفلة الحكام الذين ابتعدوا عن تدبير مصالح الرعية، وجعلوا همهم في جني الأموال والإكثار منها والاحتفاظ بالسلطة والحكم بمختلف السبل والوسائل، وعلى ذلك يحمل المقريزي مسؤولية هذه المجاعات للحكام الغافلين عن مصالح العباد، والغارقين في ملذات الدنيا وعبثها (إغاثة الأمة بكشف الغمة: المرجع السابق، ص٧٧ و٧٨).

تحليل المقريزي لأسباب غلاء المعيشة في مصر:

ويبين المؤرخ المقريزى كيف أن احتكار سلاطين المماليك لبعض السلع أدّى إلى ارتفاع أسعارها، ويبين أن إسناد الولايات السلطانية والدينية بالرشوة هو من أهم أسباب انتشار المجاعات لتولّي الفاسدين مقاليد البلاد وانصرافهم عن تحقيق مصالح الخلق إلى الاستيلاء بغير وجه حق على أموال العباد، حتى ضج الناس من شدة المغارم، وضاقوا من كثرة المظالم، وبعد أن عرض المقريزي في كتابه «إغاثة الأمة بكشف الغمة» للمجاعة التي تعرضت لها مصر سنة ٨٠٨هـ، واستعرض فيه تاريخ المجاعات التي حلت بمصر منذ أقدم العصور حتى السنة التي كتب فيها الكتاب، قام بتحليل العوامل الاقتصادية والاجتماعية المؤدية لهذه الأزمات.

كما بحث مسألة أسباب غلاء المعيشة في مصر، وانتهى إلى السبب فيما يكابده أهل مصر يرجع إلى ثلاثة أسباب هي: سوء التدبير والفساد الإداري وغلاء الأطيان ورواج الفلوس (إغاثة الأمة بكشف الغمة: المرجع السابق، ص١١٧ وما بعدها)، ليسبق في ذلك الاقتصاديين في زماننا هذا حينما يحذر من الكلفة الباهظة للفساد الإداري، ومن خطر الاقتصار على الاستثمار العقاري، ومن التضخم الناتج عن زيادة النقود المتداولة بين أيدي الناس وزيادتها عن السلع التي في المجتمع.

النظرية الاقتصادية عند المقريزي:

انطلق المقريزي في كتابه إغاثة الأمة بكشف الغمة يعرض لدور الدولة في النشاط الاقتصادي، وتناول مفهوم التنمية والتخلف، ومن خلال هذا الكتاب عرض المقريزي لآرائه في النظرية الاقتصادية من خلال قضايا الاستثمار، والإنتاج والاستهلاك، والادخار، والتوزيع والفائض الاقتصادي وأهميته في التنمية، كما عرض للسوق وأحكامها، وبين أقسام الناس في المجتمع المصري وجعلهم سبعة أقسام جعل أولها أهل الدولة، أما سابعها فهم أهل الخصاصة والمسكنة والذين قال عنهم المقريزي: «... وهؤلاء فني معظمهم جوعًا وبردًا ولم يبق منهم إلا أقل من القليل...» (إغاثة الأمة بكشف الغمة، المرجع السابق، ص ١٤٧: ١٥٠).

المقريزي «أبو النقود» وهو واضع نظرية (النقود الرديئة تطرد النقود الجيدة) قبل جريشام:

يتحدث المقريزي عن النقود، ويعرض لنشأتها منذ بدء

الخليقة وحتى الجاهلية وفي الإسلام وحتى عصره، وأكد أن النقود في مصر كانت من الذهب فقط، أما الفضة فكانت تتخذ حليًا أو تصنع منها الأواني، ولما انتقل الناس من ذلك إلى التعامل بالفلوس والى غش العملات الذهبية كان هذا أحد أسباب الأزمات المالية التي عانى منها أهل مصر، حيث اختفت العملات الذهبية، وعرض المقريزي لدور النقود في المجتمع ولكيفية تسببها في إحداث الأزمات. (إغاثة الأمة بكشف الغمة، المرجع السابق، ص ١٣٧ وما بعدها).

كما أنه في كتابه المطبوع باسم « رسائل المقريزي » تحدث عن النقود الإسلامية القديمة وأفرد لها فصلاً مستقلاً في هذا الكتاب والذي عرض فيه المقريزي لماهية النقد ونشأته ووظائفه، وللتغير في قيمة النقود وأسبابه؛ حيث عرض للتضخم وللآثار الاقتصادية الناتجة عن التغير في قيمة النقود. (كتاب « رسائل المقريزي » دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ، النقود القديمة الإسلامية، فصل في النقود، ص ١٥٧ وما بعدها).

كما لفت المقريزي الأنظار إلى شيء شديد الأهمية وهو ما تؤدي إليه كثرة النقود المتداولة، وذكر كلامًا واسعًا حول النقود والأسعار، كما بين دور الدولة في النشاط الاقتصادي ومالية الدولة، ليسبق في بحثه لهذه الظاهرة الاقتصادية الاجتماعية من الناحية التاريخية علماء الاقتصاد الغربيين، والتي حاول سبر غورها وبحث أسبابها ووضع الحلول لها.

وقد لاحظ عديدون أن بعض علماء الاقتصاد الغربيين قد تأثروا بأفكار المقريزي، بل انتهى بعض الباحثين إلى أن ما اصطلح عليه في الاقتصاد بقانون جريشام (النقود الرديئة تطرد النقود الجيدة)- الذي وضعه السير توماس جريشام مستشار ملكة إنجلترا- ما هو إلا قانون المقريزي؛ حيث سبق المقريزي جريشام إلى النتائج التي توصل إليها، ولذلك استحق المقريزي وبحق أن يلقب بأبي النقود. (للاستزادة حول أثر المقريزي في الفكر الاقتصادي انظر: د. عماد رفيق خالد بركات: الفكر الاقتصادي عند المقريزي- الأزمات الاقتصادية- دراسة تاريخية تحليلية، رسالة دكتوراه في الاقتصاد، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا ٢٠٠٢. ؛ د. سكينة بويلي: الفكر الاقتصادي عند ابن خلدون والمقريزي، رسالة دكتوراه مقدمة لقسم الشريعة بكلية العلوم الإسلامية، بجامعة باتننة بالجزائر، ٢٠١٥/٢٠١٤. ؛ عبد الرحمن يسري أحمد: تطور الفكر الاقتصادي، الدار الجامعية بالإسكندرية ٢٠٠٣.. أحمد طرطار: بعض آراء المقريزي الاقتصادية والوقائع المواكبة لعصره- النقود نموذجا- مجلة العلوم الإنسانية- التي تصدرها كلية العلوم التجارية والاقتصادية وعلوم التسيير بجامعة تبسه، بالجزائر، العدد (٢)، ٢٠٠٧).

وبذلك نكون قد عرضنا - بما لا يتسع له المقام - لنموذج من تراثنا تضمن مصنفات أحد علماء المسلمين، والذي تناول موضوعات اقتصادية بحتة، ولكن بالصبغة الإسلامية، وهو ما يؤكد قدم وسبق الفكر الاقتصادي الإسلامي على غيره، كما يؤكد أن المعاملات الإسلامية تنطلق من أصوله وثوابته ولذلك تميز الفقهاء المسلمون عن غيرهم.

وما ذكرناه إنما أردنا به التمثيل وضرب المثل فقط، وهذا هو جهد المقل، وما اتسع له المقام والوقت، والا فإن هناك كنوزًا تحتاج من الباحثين أن يُميطوا عنها اللثام، وأن يظهروا محاسن هذا التراث للدنيا، في وقت يرمي البعض فيه هذا الكنز الدفين من التراث بالكتب الصفراء، ويتهوك بأن الزمان قد عفا عليها، ولا أجد جوابًا لهؤلاء إلا قول الفرزدق:

أولئك آبائي، فجئني بمثلهم
إذا جمعتنا يا جرير المجامع.

والحمد لله رب العالمين.

قانون المعرفة الإسلامي

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم. وبعد، فما زال الحديث بنا مستمرًا حول الفكر والمفكرين وساحة الفكر، ولقد ذكرنا فيما سبق أمثلة كثيرة لساحة الفكر الإسلامي، والمكان الذي يصلح أن يعمل فيه الفكر، ويكون مقبولاً في الشرع الحنيف، وذلك لأننا نسمع من يزعم أنه مفكر، ويطعن في الثوابت، يدعي أنه مفكر ويفتخر بهذا في محافل كثيرة

إعداد
د. أحمد منصور سبالك

لكن السؤال: هل للفكر قانون موحد؟ وان كان، فهل في شريعتنا قانون للفكر؟

للجواب عن هذا السؤال يجب أن نذكر الآتي:

الفكر بابه المعرفة التي يدخل من خلالها إلى الفكر؛ فلا بد للمفكر أن يمرّ من هذا الباب.

أولاً، وثانيًا: عند المناطقة أن مفاتيح الفكر خمسة وهي: ما، ولماذا، وأين، ومتى، وكيف.

فالأول سؤال عن الماهية، وتدرك بإجابته كُنه الشيء.

الثاني: سؤال عن العلة والسبب، وتدرك بإجابة سبب الكينونة، وعلة وجودها.

والثالث: سؤال عن المكان، وتدرك بإجابته مكان وجود الكينونة.

والرابع: سؤال عن الزمان، وتدرك بإجابته زمان تكوين الكينونة.

والخامس والأخير: سؤال عن الكيفية، وبإجاباته تدرك الحال والخبر الخاص بالكينونة هذه.

فهذه الأسئلة المنطقية وضعها علماء المنطق ميزانًا للمعرفة بالشيء، فإذا كنت صاحب معرفة بشيء لا بد أن تكون عندك إجابات خمسة لهذه الأسئلة الخمسة.

بدأت بهذه التقدمة لكي يكون الكلام واضحًا عندما نتكلم عن المعرفة عامة، و القانون المعرفي الإسلامي، خاصة.

فأقول: إن غربة المسلم عن الإحساس بماضيه وحاضره ومستقبله قد أدّى إلى فقدان التوازن في نفسه، ولهذا واجب عليه الدخول في دائرة المعارف بقراءة هذه الأزمنة الثلاثة، ومن ثمّ يحدد علاقته بتراثه الماضي، ويحدّد الحاضر، ليساعد في تجديد الأمة المسلمة ويساعد في تأهيلها لقراءة المستقبل ووضع آليات صحيحة لا تنكرها الرسالة التي يحملها.

فبعد أن كان في عصور الازدهار الإنسان بصفتين رئيسيتين وهما: الأولى: أنه يحدد معارفه باسم ربه، لا باسم نفسه، ولا أسرته، أو عشيرته، أو قومه، أو عرقه.. إلخ.

والصفة الثانية: أنَّ كلاً من الوحي والعقل والحواس كانت تتكامل في عملية تكوين معارفه.

فاكتسب هذا الانسان بهذين الصفتين رسوخًا واحاطة في المعارف، تجاوز بهذا الرسوخ الحد الزمني للمعرفة أو التاريخي لموضوع هذه المعارف. وأكبر دليل على ذلك أنه في وقت أن كانت أوروبا يطلق عليها عصور الظلام، كان المسلمون فيهم العلم والعلماء في شتى نواحي المعرفة، فأدخلوا عن طريق الفتوحات نور العلم الذي اكتسح أوروبا، فتمسكت به وتحولت من الظلام إلى النور، وفرطنا نحن في هذا فحالنا يعلمه القاصي والداني.

فعندما انحسرت هذه الصفات في نفوس المشتغلين بالعلم والمعرفة، انهار التوازن في نفوسنا بين دور العقل ودور الحواس، ودور الوحي، فانقسم المسلمون إلى أقسام اتخذت القرآن عضين؛ بأن جزأته أجزاء كأعضاء الجذور كما ذكر ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى: «كَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَى ٱلۡمُقۡتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾ ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلۡقُرۡءَانَ عِضِينَ» (الحجر: ٩٠-٩١).

فغربة المسلم تُبعده عن أصالته، وتوقعه في التفكير الجزئي والتبريري والابائية، ويعجز عن الشمول والرسوخ والاحاطة، الأمر الذي أدّى به إلى غربة بين أدوات المعرفة، أي: بين الوحي والعقل والحواس، ولهذا كانت النتيجة توقف عملية البحث في آيات الآفاق والأنفس، واهمال القدرات العقلية، واكتفينا بما فعله الأجداد، وما جاء الغرباء، وأخذنا السمَّ الذي وُضع لنا في العسل، حتى أصبح لنا دين جديد، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ولهذا فان تأصيل (قانون معرفي إسلامي) أمر في غاية الأهمية والضرورة في ظل هجمة المفكرين -وان صح التعبير مدعو التفكير- باسم الإسلام للإسلام، وهذا الاعتبار منها:

أن الدين الإسلامي هو دين الحجة والبرهان، فلا توجد مسألة في دين الله إلا وقائم التسليم بها على الدليل العقلي.

سواء كان ذلك التسليم من جهة التسليم بصدق النبي صلى الله عليه وسلم، أو من جهة ما تتضمنه نصوص الكتاب والسنة من الاستدلال على مسائلها.

ومما يستوجب تأصيل القانون المعرفي ومنهج الاستدلال في الإسلام ما حصل من الانحراف في الفكر الإسلامي نتيجة الخلاف حول مصدر التلقي، وما نشأ عن ذلك من إحداث مناهج بدعية في الاستدلال لم تكن معهودة من قبل مثل بعض الاتجاهات كالاتجاه الفلسفي، أو الاتجاه الكلامي، أو الاتجاه الصوفي.

ومما يستوجب أيضًا تأصيل وتقعيد قانون معرفي ومنهج استدلال في الإسلام أيضًا الاتجاه الوضعي المعاصر الذي يعارض كل حقائق الدين تقريبًا، وهذا المنهج السائد في هذا العصر في كثير من المذاهب لا سيما الفلسفية منها ونظريات ما يسمى بالعلوم الإنسانية؛ إذ إنها نشأت إبان ظروف خاصة، حين فزع الناس من التفسير الديني القائم على الكتب المحرفة المشتملة على ما ينافي الضرورة العقلية.

ومع ذلك مما يختص به الفكر الغربي التغريبي -لكل ما هو مسلم- إلا أن هذه المذاهب والنظريات قد دخلت إلى العالم الاسلامي على أيدي المفكرين والمربين -إياهم- تلقوها، وطبقوها دون وعي بحقيقة الاسلام، أو حقيقة ما تتضمنه تلك النظريات من المصادمة للثوابت الشرعية التي نراها في حديثهم الذي يزعمون فيه الصحة المطلقة أو كما يقولون: الحقيقة المطلقة.

وأيضًا: ضرورة العلم بالقانون المعرفي الإسلامي تكمُن في كيفية الرد على أولئك الذين يزعمون أنهم على الحق، وهم على الباطل من أصحاب المذاهب الهدامة والنظريات المخالفة للدين.

واذا تقررت هذه الضرورات التي تستوجب وجود قانون معرفي إسلامي، يجب العلم بتحديد مصادر ومجالات هذا القانون، والعلم بكيفية الاستدلال المستند إلى مصادر محددة للمعرفة لا مصادر مختلقة كاذبة، مع التسليم بدلالتها على مجالات معينة، كما يؤسس إلى تصور متكامل الطبيعة المعرفة في قانون المعرفة في الاسلام، أولا، ثم التصدي لتلك الأفكار الهدامة التي لا أساس لها.

نفعنا الله واياكم بما نعلم، وكتب لنا ولكم الأجر، إنه ولي ذلك والقادر عليه، ونلتقي في المقالة القادمة باذن الله تعالى، وصل اللهم وسلم وبارك على محمد وآله وصحبه أجمعين.

باب السنة

ري الظمآن ببعض فضائل القرآن

إعداد:
د. مرزوق محمد مرزوق

الحمد لله على عظائم المنّ وعموم النّعم وصلى الله وسلم على سيّد البشر وخاتم الأنبياء وصحابته الأنجم الزاهرة، وأهل بيته النجب الطاهرة وسلم تسليمًا كثيرًا، وبعد:

الحديث:

عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "مَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ القُرْآنَ: كَالأُتْرُجَّةِ طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَرِيحُهَا طَيِّبٌ، وَالَّذِي لاَ يَقْرَأُ القُرْآنَ: كَالتَّمْرَةِ طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَلاَ رِيحَ لَهَا، وَمَثَلُ الفَاجِرِ الَّذِي يَقْرَأُ القُرْآنَ: كَمَثَلِ الرَّيْحَانَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ، وَمَثَلُ الفَاجِرِ الَّذِي لاَ يَقْرَأُ القُرْآنَ: كَمَثَلِ الحَنْظَلَةِ طَعْمُهَا مُرٌّ وَلاَ رِيحَ لَهَا".

أولا: التخريج:

أخرجه البخاري في صحيحه – كتاب: فضل القرآن، باب: قراءة الفاجر والمنافق، وأصواتهم وتلاوتهم لا تجاوز حناجرهم – حديث رقم ٧١٦١:

وباب: ذكر الطعام - حديث رقم ٥١٣٤.

وباب: إثم من راءى بقراءة القرآن أو تأكل به أو فخر به - حديث رقم: ٤٧٨٩.

مسلم في صحيحه - باب فضيلة حافظ القُرآن - حديث رقم: ١٣٨١.

النسائي في الصغرى- مثل الذي يقرأ القرآن من مؤمن ومنافق - حديث رقم: ٤٩٩٨.

الترمذي في جامعه - باب: ما جاء في مثل المؤمن القارئ للقرآن وغير القارئ - حديث رقم: ٢٩٢٥.

ابن ماجه في سننه - بَابُ: فِي فَضَائِلِ أَصْحَابِ رسول الله صلى الله عليه وسلم - حديث رقم: ٢١٥.

وَأخرجه البُخَارِيّ أَيْضا فِي التَّوْحِيد عَن مُوسَى بن إِسْمَاعِيل.

وَأخرجه مُسلم فِي الصَّلَاة عَن هدبة، وَعَن غَيره وَأخرجه أَبُو دَاوُد فِي الْأَدَب عَن مُسَدّد بِهِ وَعَن

عبيد الله بن معاذ، وأخرجه الترمذي في الأمثال عن قتيبة به وأخرجه النسائي في الوليمة وفي فضائل القرآن عن عبيد الله بن سعيد وفي الأيمان عن عمرو بن علي.

وأخرجه ابن ماجه عن محمد بن المثنى ومحمد بن بشار.

ثانيا: شرح المفردات:

١- الأترجة: وهي بضم الهمزة والراء بينهما مثناة ساكنة وآخره جيم ثقيلة، وقد تخفف. ويزاد قبلها نون ساكنة، ويقال: بحذف الألف مع الوجهين فتلك أربع لغات وتبلغ مع التخفيف إلى ثمانية. وهي من أحسن الثمار الشجرية وأنفسها عند العرب. قلت: وهي نوع من الحمضيات شبيه بالليمون والبرتقال.

٢- الريحانة: كل بقلة طيبة الريح، وهو ما يستراح اليه. وقيل: هي كل نبت طيب الريح من أنواع المشموم.

٣- الحنظلة: نبات ثمرته في حجم البرتقالة ولونها، فيها لب شديد المرارة، ويمتد على الأرض كالبطيخ وثمره يشبه ثمر البطيخ، لكنه أصغر منه جدا، ويضرب المثل بمرارته. (ينظر: فتح الباري لابن حجر، ١/ ١٢٦، وتحفة الأحوذي للمباركفوري، ٨/ ١٣٣- ١٣٤).

شرح الحديث:

هذا حديث بوب له الامام البخاري بعنوان: باب فضل القرآن على سائر الكلام: أي: هذا باب في بيان فضل القرآن على سائر الكلام، وقد وقع لفظ مثل لفظ هذه الترجمة (كما نبه عليه في الفتح) في حديث أخرج الترمذي وغيره معناه بأسانيد لا تخلو من مقال وفيه: "وفضل القرآن على سائر الكلام كفضل الله على خلقه".

> “خص صفة الإيمان بالطعم وصفة التلاوة بالريح؛ لأن الإيمان ألزم للمؤمن من القرآن إذ يمكن حصول الإيمان بدون القراءة.”

ثم يذكر الامام البخاري الحديث والذي هو بمثابة مثل يضربه النبي صلى الله عليه وسلم ليبين ويقسم الناس فيه بخصوص علاقتهم بالقرآن؛ وأنهم على أربعة أنواع:

١- الأول: قوله: "مثل الذي يقرأ القرآن كالأترجة"؛ وهي نوع من أنواع الثمار لها فوائد وقبول حقيقي طبي ونفسي فضلاً عما كتب لها من قبول بسبب الحديث لمن يعرفه.

وقوله: "طعمها طيب وريحها طيب". قيل: خص صفة الايمان بالطعم وصفة التلاوة بالريح؛ لأن الايمان ألزم للمؤمن من القرآن إذ يمكن حصول الايمان بدون القراءة، وكذلك الطعم ألزم للجوهر من الريح فقد يذهب ريح الجوهر ويبقى طعمه.

٢- والثاني: قوله: "والذي لا يقرأ القرآن كالتمرة طعمها طيب ولا ريح لها"؛ أي وان هذا المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كالتمرة طعمها حلو؛ إذ إنه مؤمن يعمل بالقرآن لكن لا رائحة له فائحة؛ إذ هو مقصر تجاه القرآن فلا تشم رائحته الذكية.

وقوله يقرأ القرآن على صيغة المضارع ليس المراد منها حصولها بل المراد منها الاستمرار عليها وأن القراءة دأبه وعادته وقد شبه المؤمن الذي لا يقرأ القرآن بالثمرة في حلاوة مذاقها، وان كان لا ريح لها، لأنه زين باطنه بالعمل بالقرآن، وان لم يزين ظاهره بتلاوته.

٣- والثالث: قوله: "ومثل الفاجر الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر".

٤- والرابع: "ومثل الفاجر"؛ أي: المنافق "الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة طعمها مر ولا ريح لها". شبهه النبي صلى الله عليه وسلم بالحنظلة، وفيها ما فيها من المذاق المر؛ ولذا قال: "لا رائحة لها، وطعمها مر". وفي رواية للترمذي: "ريحها مر

وطعمها مُرٌّ". واستشكلت هذه الرواية من جهة أنّ المرارة من أوصاف الطعوم. فكيف يُوصف بها الريح؟! والاجابة بأنّ الريح لما كان كريهًا. استُعير له وصفُ (المرارة). فتلكم هي أصناف أربعة: مؤمن يقرأ القرآن ويعمل به. ومؤمن يعمل به ويقصر في قراءته. ومنافق أو مُراء يقرأ القرآن ولا يعمل به. وفاجر لا يقرأ ولا يعمل. نسأل الله السلامة.

ومما يستفاد من الحديث

١- وفي هذا الحديث فضيلة حامل القرآن. ومطابقته للترجمة من حيث ثبوت فضل قارئ القرآن على غيره: فيستلزم فضل القرآن على سائر الكلام. وكذلك استحباب ضرب الأمثال للبيان وتقريب الفهم. قال النووي في شرحه على صحيح مسلم: "هذا الحديث فيه فضيلة حافظ القرآن. واستحباب ضرب الأمثال لإيضاح المقاصد".

وقال شارح مشكاة المصابيح: "إن هذا التشبيه والتمثيل في الحقيقة وصف لموصوف اشتمل على معنى معقول صرف لا يبرزه عن مكنونه إلا تصويره بالمحسوس المشاهد. ثم إن كلام الله المجيد له تأثير في باطن العبد وظاهره. وان العباد متفاوتون في ذلك. فمنهم من له النصيب الأوفر من ذلك التأثير وهو المؤمن القارئ ومنهم من لا نصيب له البتة وهو المنافق الحقيقي. ومنهم من تأثر ظاهره دون باطنه وهو المرائي أو بالعكس. وهو المؤمن الذي لا يقرؤه. وإبراز هذه المعاني وتصويرها في المحسوسات ما هو مذكور في الحديث ولم يجد ما يوافقها ويلائمها أقرب ولا أحسن ولا أجمع من ذلك: لأن المشبهات والمشبه بها واردة على التقسيم الحاصر. اهـ. (ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني. ٩/٦٦-٦٧. وانظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري للعيني. ٢٠/ ٣٨).

٢- الايمان ألزم للمؤمن من القرآن وهو أدب عظيم من آداب الإسلام التي كان يعلمها النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه. قال ابن حجر: قوله: "طعمها طيب وريحها طيب". قيل: خص صفة الايمان بالطعم. وصفة التلاوة بالريح: لأن الايمان ألزم للمؤمن من القرآن: إذ يُمكن حُصول الإيمان بدون القراءة. وكذلك الطعم ألزم للجوهر من الريح: فقد يذهب ريح الجوهر ويبقى طعمه.

٣- الحكمة في تخصيص الأترجة بالتمثيل دون غيرها من الفاكهة التي تجمع طيب الطعم والريح (كالتفاحة مثلا): وذلك لأسباب كثيرة: منها: ان الأترجة يتداوى بقشرها وهو مفرح بالخاصية. ويستخرج من حبها دهن له منافع. وقيل: إن الجن لا تقرب البيت الذي فيه الأترج. فناسب أن يمثل به القرآن الذي لا تقربه الشياطين. وغلاف حبه أبيض فيناسب قلب المؤمن. وفيها أيضا من المزايا كبر جرمها وحُسن منظرها وتفريح لونها ولين ملمسها. وفي أكلها مع الالتذاذ طيب نكهة ودباغ معدة وجودة هضم. ولها منافع أخرى مذكورة في المفردات.

٤- وأما سبب التمثيل بالتمرة للمؤمن غير القارئ: لأن التمرة تراها من بعيد فلا تشم لها رائحة. فلا نفع في أن تراها من بعيد. لكن نفعها في أن تأكلها. فإذا أكلتها وجدت فائدتها. فكذلك الانسان المؤمن الذي لا يقرأ القرآن.

٥- وأما الريحانة فإنها تشبه المنافق: تشم رائحتها الجميلة من بعيد. ولكن عندما تتذوقها تجد طعمها مرا. وكذلك المنافق الفاجر. فإنك قد تنتفع من المنافق الذي يقرأ القرآن بشيء. فلعله يقرأ القرآن بصوت جميل. فيعجبك صوته أو يؤثر فيك كلام الله جل وعلا بسبب تلاوته له. ولعلك تسأله عن أماكن الآيات فيجيبك. ولكنه لا يعمل بشيء مما ورد في القرآن. فيستبيح لنفسه أن يكذب وينافق ويرائي ويخادع ويخون. ولا يراقب الله جل وعلا في تصرفاته.

٦- وأما الحنظلة فإنها تشبه المنافق الفاجر الذي لا يقرأ القرآن: لأنه لا ريح لها وطعمها مر.

فاتفق معها في مرارة الطعم وعدم وجود الرائحة، لفساد مخبره ومظهره. (ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني، ٩/٦٦-٦٧. وانظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري للعيني، ٢٠/ ٣٨).

٧- قراءة الفاجر والمنافق مهما ظهر حسنها فلا تقبل عند الله: قال ابن بطال: "معنى هذا الباب أن قراءة الفاجر والمنافق لا ترتفع إلى الله ولا تزكو عنده، وانما يزكو عنده ما أريد به وجهه، وكان عن نية التقرب إليه، وشبهه بالريحانة حين لم ينتفع ببركة القرآن، ولم يفز بحلاوة أجره، فلم يجاوز الطيب موضع الصوت وهو الحلق، ولا اتصل بالقلب، وهؤلاء هم الذين يمرقون من الدين (فتح الباري لابن حجر العسقلاني، ١٣/٥٣٦).

وقال العيني رحمه الله: (اعلم أن هذا التشبيه والتمثيل في الحقيقة وصف اشتمل على معنى معقول صرف لا يبرزه عن مكنونه إلا تصويره بالمحسوس المشاهد، ثم إنَّ كلام الله المجيد له تأثير في باطن العبد وظاهره، وان العباد متفاوتون في ذلك، فمنهم من له النصيب الأوفر من ذلك التأثير، وهو المؤمن القارئ ومنهم من لا نصيب له البتة وهو المنافق الحقيقي، ومنهم من تأثر ظاهره دون باطنه وهو المرائي، أو بالعكس وهو المؤمن الذي لم يقرأه، وابراز هذه المعاني وتصويرها في المحسوسات ما هو مذكور في الحديث، ولم يجد ما يوافقها ويلائمها أقرب ولا أحسن ولا أجمع من ذلك؛ لأن المشبهات والمشبه بها واردة على التقسيم الحاضر).

لأن الناس إما مؤمن أو غير مؤمن، والثاني إما منافق صرف أو ملحق به، والأول إما مواظب عليها، فعلى هذا قس الأثمار المشبه بها، ووجه التشبيه في المذكورات مركب منتزع من أمرين محسوسين: طعم وريح، وقد ضرب النبي المثل بما تنبته الأرض ويخرجه الشجر للمشابهة التي بينها وبين الأعمال؛ فإنها من ثمرات النفوس فخص ما يخرجه الشجر من الأترجة والتمر بالمؤمن، وبما تنبته الأرض من الحنظلة والريحانة بالمنافق، تنبيهًا على علو شأن المؤمن وارتفاع علمه ودوام ذلك، وتوقيفًا على ضعة شأن المنافق واحباط عمله وقلة جدواه. (عمدة القاري شرح صحيح البخاري للعيني ٢٠/ ٣٨).

٨- أنه قد يقع من بعض المؤمنين انصراف عن تلاوة القرآن وسماعه، وهذا من هجره، قال الإمام ابن القيم: "هجر القرآن أنواع:

أحدها: هجر سماعه والايمان به والاصغاء إليه.

والثاني: هجر العمل به والوقوف عند حلاله وحرامه، وان قرأه وآمن به.

والثالث: هجر تحكيمه والتحاكم إليه في أصول الدين وفروعه، واعتقاد أنه لا يفيد اليقين وأن أدلته لفظية لا تحصل العلم.

والرابع: هجر تدبره وتفهمه ومعرفة ما أراد المتكلم به منه.

والخامس: هجر الاستشفاء والتداوي به في جميع أمراض القلب وأدوائها فيطلب شفاء دائه من غيره ويهجر التداوي به، وكل هذا داخل في قوله: (وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا) (الفرقان:٣٠).

وعليه ينبغي للمسلم أن يكون له وِرْدٌ يوميٌّ من كتاب الله تعالى، يحافظ عليه، ويقضيه إذا فاته، وان تيسَّر له أن يختم القرآن كلَّ ثلاثة أيام، أو كل أسبوع، أو كل شهر، أو كلَّ أربعين يومًا؛ فهو خير، فعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له: "اقرأ القرآن في أربعين"، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٥١٢). (ينظر: الفوائد: لابن القيم ص٨٢، وتفسير ابن كثير ٣/ ٣١٨، تفسير الآية ٣٠ من سورة الفرقان).

فاللهم أنر قلوبنا ووجوهنا وبيوتنا وقبورنا بنور القرآن العظيم،

والحمد لله رب العالمين.

من الأحداث المهمة في تاريخ الأمة

معركة صفين (١)

إعداد **عبد الرزاق السيد عيد**

الحمد لله الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير، والصلاة والسلام على البشير النذير سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد: فمعركة صفين المنسوبة الى هذا المكان الذي وقعت فيه بقرب الرقة على شاطئ الفرات آخر تخوم العراق وأول أرض الشام، والمنسوبة زمانا إلى شهر صفر من العام السابع والثلاثين من الهجرة؛ حيث التحم الجيشان: جيش علي وجيش معاوية رضي الله عنهما، وان كان زمان المعركة اتسع لأكثر من ذلك. ويمكننا القول: إنها بدأت يوم ان استشهد عثمان رضي الله عنه، بل هي ثمرة من الثمار المرة التي ظهرت بسبب هذا الحدث الجلل، وظهور الفتنة الكبرى بين أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، والتي أدت إلى انقسام الصحابة وظهور الخلاف بينهم في مسألة الثأر من قتلة عثمان، ثم تطور هذا الخلاف في الرأي إلى نزاع مسلح.

وقد لخَّص بعض أهل العلم أحداث صفين في سطور فقال «محب الدين الخطيب»:

(لما انتهى عليَ من حرب الجمل، وسار من البصرة إلى الكوفة فدخلها يوم الاثنين ١٢ من رجب ٣٦هـ، أرسل جرير بن عبد الله البجلي إلى معاوية في دمشق يدعوه إلى طاعته، فجمع معاوية رؤوس الصحابة وقادة الجيوش وأعيان الشام واستشارهم فيما يطلب عليَ، فقالوا: لا نبايعه حتى يقتل قتلة عثمان أو يسلمهم لنا.

فرجع جرير إلى عليَ بذلك، فاستخلف على الكوفة أبا مسعود عقبة بن عامر، وخرج من الكوفة فعسكر بالنخيلة أول طريق الشام من العراق، وبلغ معاوية أن عليًا تجهَّز وخرج بنفسه لقتاله، فأشار عليه رجاله أن يخرج هو بنفسه لقتال عليَ؛ فخرج الشاميون نحو الفرات من ناحية صفين، وتقدم عليَ بجيوشه إلى تلك الجهة، وكان جيش عليَ في مئة وعشرين ألفًا، وجيش معاوية في تسعين ألفًا، وبدأ القتال في ذي الحجة ٣٦هـ بمناوشات ومبارزات، ثم تهادنوا في المحرم ٣٧هـ، واستؤنف القتال والتحم الجيشان لمدة تسعة أيام متتالية من أول صفر ٣٧هـ وقُتل في هذه الحرب سبعون ألفًا، ثم كُتب كتاب التحكيم في ١٣ صفر سنة ٣٧هـ) (راجع هوامش العواصم، ص١٦٦، تعليق الشيخ: محب الدين الخطيب).

أيها الأخ الكريم ليس من مقصودنا في المقام الأول الحديث عن تفاصيل المعارك وما حدث فيها تفصيلاً، إنما المقصود الأول هو البحث عن الأسباب التي أدَّت إلى نشوب تلك الأحداث، وتحقيق مواقف الصحابة الكرام في هذه الفتنة التي أدت إلى انقسام الصحابة إلى مطالب بسرعة القصاص من قتلة عثمان، وإلى مطالب بالتريث حتى يستقيم أمر الخلافة وإلى طرف ثالث وهم الذين اعتزلوا هذه الأحداث ولم يشاركوا فيها.

ومن المعلوم أن أعداء الإسلام استثمروا هذا الأمر في تعميق الخلاف والشقاق بين أصحاب النبي رضي الله عنهم بغية إحداث الشقاق والخلاف حتى يضعفوا الأمة، ويوقفوا المد الإسلامي عبر المشارق والمغارب، وكثر الدسَ في الأخبار والكذب الذي مارسه كثير من المغرضين، وسنحاول -بعون من الله- تحرَي الحقيقة من مصادرها وإخراجها للقارئ الكريم في ثوبها اللائق بها راجين من الله التوفيق والسداد، وإلى محاور هذا البحث الهام:

أولًا: أسباب المعركة ومواقف الصحابة من الفتنة:

١) لا يشك أحد من المؤرخين أن من أهم أسباب القتال بين الصحابة الكرام هو الفتنة التي وقعت بسبب مقتل عثمان رضي الله عنه على يد الغوغاء الذين كان يقودهم ابن السوداء المعروف بعبد الله بن سبأ اليهودي الذي دخل الإسلام لا يريد إلا الفتنة، والفتنة كلمة تُطلق ويُراد بها معانٍ كثيرة جاءت في الكتاب والسنة وفي اللغة والفتنة التي نتحدث عنها هنا هو ما وقع بين الصحابة الكرام في صدر الإسلام من القتال والنزاع والفُرقة؛ نظرًا لأن القضايا كانت مشتبهة ومعقدة إلى حد جعل المواقف متباينة والآراء مختلفة.

٢) قال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم: (واعلم أن سبب تلك الحروب أن القضايا كانت مشتبهة، فلشدة اشتباهها اختلف اجتهادهم، وصاروا ثلاثة أقسام:

قسم ظهر لهم بالاجتهاد أن الحق في هذا الطرف وأن مخالفه باغ، فوجب عليهم نصرته، وقتال الباغي واجب عليهم فيما اعتقدوا ففعلوا ذلك، ولم يكن يحل لمن هذه صفته التأخر عن مناصرة إمام العدل في قتال البغاة في اعتقاده.

وقسم عكس هؤلاء: ظهر لهم بالاجتهاد أن الحق في الطرف الآخر فوجب عليهم مساعدتهم وقتال الباغي عليه.

وقسم ثالث: اشتبهت عليهم القضية، وتحيَروا فيها، ولم يظهر لهم ترجيح أحد الطرفين

فاعتزلوا الفريقين، وكان هذا الاعتزال هو الواجب في حقهم؛ لأنه لا يحل الإقدام على قتال مسلم حتى يظهر أنه مستحقٌ لذلك، ولو ظهر لهؤلاء رجحان أحد الطرفين، وأن الحق معه لما جاز لهم التأخر عن نصرته في قتال البغاة عليه) (شرح النووي على صحيح مسلم ١٥/١٤٩).

٣) إن الخلاف الذي نشأ بين أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب رضي الله عنه من جهة وبين طلحة والزبير وعائشة رضي الله عنهم لم يكن سببه القدح في ولاية أمير المؤمنين عليّ وامامته وأحقيته بالخلافة والولاية فقد كان هذا محل اجماع بينهم، قال ابن حزم: (لم ينكر معاوية قط فضل عليّ، واستحقاقه الخلافة، ولكنّ اجتهاده أدى به إلى تقديم أخذ القود من قتلة عثمان رضي الله عنه على البيعة لعلي، ورأى نفسه أحق بطلب دم عثمان) (الفصل في الملل والنحل ٤/١٦٠).

٤) وأما ما شاع بين الناس قديمًا وحديثًا أن الخلاف بين علي ومعاوية منشؤه هو طمع معاوية في الخلافة؛ فهذه روايات لا تصح ولا تثبت، وقد أنكرها المحققون، وقد ذكرنا قول ابن حزم وكذلك ابن كثير رحمه الله في البداية والنهاية وغيرهم.

قال ابن كثير: (والصحيح أن الخلاف بين علي ومعاوية رضي الله عنهما كان حول مدى وجوب بيعة معاوية وأصحابه لعلي قبل توقيع القصاص على قتلة عثمان قبل البيعة أو بعدها، وليس هذا في أمر الخلافة في شيء؛ فقد كان رأي معاوية رضي الله عنه ومن حوله من أهل الشام أن يقتص عليّ من قتلة عثمان، ثم يدخلون بعد ذلك في البيعة).

٥) إن معاوية رضي الله عنه كان من كُتّاب الوحي، ومن قادة الصحابة وأكثرهم حلمًا فكيف يعتقد أن يقاتل الخليفة الشرعي، ويهرق دماء المسلمين من أجل ملك زائل؟! (وهو القائل: والله لا أخيَّر بين الله وبين غيره إلا اخترت الله على ما سواه) (سير أعلام النبلاء: ٣/١٥١).

وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال فيه: «اللهم اجعله هاديًا مهديًا واهدِ به» (صحيح الترمذي للألباني).

قال النبي أيضًا: «اللهم علّمه الكتاب وقِه العذاب» (فضائل الصحابة: إسناده حسن).

وأما وجه الخطأ في موقفه من مقتل عثمان رضي الله عنه: فيظهر في رفضه أن يبايع لعلي رضي الله عنه قبل مبادرته إلى القصاص من قتلة عثمان، بل ويلتمس منه أن يمكّنه منهم، مع العلم أن الطالب للدم لا يصح له أن يحكم بل يدخل في الطاعة، ويرفع دعواه إلى الحاكم، ويطلب الحق عنده (تحقيق مواقف الصحابة مختصرًا).

وقال الإمام القرطبي: (وقد اتفق أئمة الفتوى على أنه لا يجوز لأحد أن يقتصّ من أحد، ويأخذ حقه دون السلطان أو من نصّبه السلطان لهذا الأمر؛ لأن ذلك يفضي إلى الفتنة واشاعة الفوضى) (تفسير القرطبي ٢/٢٥٦).

وهذا باختصار ما كان يراه عليّ رضي الله عنه كان يرى ضرورة البيعة أولًا حتى تقوم الدولة وتجتمع تحت خليفة واحد، ثم ننظر في قضية القصاص حتى لا تحدث فوضى.

وسنعود لذلك لاحقًا ويقول الإمام الجويني في (لمع الأدلة): "إن معاوية وان قاتل عليًا فإنه لا ينكر إمامته، ولا يدّعيها لنفسه، وانما كان يطلب قتلة عثمان ظانًا أنه مصيب، وكان مخطئًا". اهـ.

٦) وأمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه وإن كان أقرب الناس إلى الصواب في موقفه إلا أنه كان الأولى به عدم الاندفاع إلى قتال أهل الشام؛ لأن القتال كله شرّ، وبخاصة بين أهل القِبلة. قال صاحب كتاب تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة ج٢، ص ٣٢٨، ٣٢٩: (يستنتج من الأدلة الشرعية أن عليًا كان أقرب إلى الحق من طلحة والزبير ومعاوية رضي الله عنهم؛

ففي الحديث الذي رواه مسلم عن الخوارج: «يقتلهم أدنى الطائفتين إلى الحق» دلالة واضحة أن عليًا كان أقرب إلى الصواب من مخالفيه في الجمل وصفين، لكن لم يُصب الحق بتمامه وكماله حيث كانت السلامة في الإمساك عن القتال؛ لأن العبرة بالنتائج والعاقبة، ولا شك أن نتيجة الاقتتال كانت مؤلمة). اهـ. مختصرًا.

٧) وخلاصة موقف أمير المؤمنين علي رضي الله عنه من قتلة عثمان كان ينتظر بقتلة عثمان أن يستوثق الأمن، وتجتمع الكلمة، ويرفع من أولياء الدم، فيحضر الطالب للدم والمطلوب وتقع الدعوة ويكون الجواب، وتقوم البينة ويجري القضاء في مجلس الحكم بالعدل) ابن العربي «العواصم».

وأما ما أثير عن وجود قتلة عثمان في جيش عليّ رضي الله عنه وكيف يرضى أن يكون هؤلاء في جيشه، فقد أجاب الإمام الطحاوي عن هذه الشبهة بقوله: «وكان في عسكر عليّ رضي الله عنه من أولئك الطغاة الخوارج الذين قتلوا عثمان مَن لم يُعرَف بعينه، ومن تنتصر له قبيلته، ومن لم تقم عليه حجة بما فعله، ومن في قلبه نفاق لم يتمكن من إظهاره كله» (شرح الطحاوية، ص ٥٤٦).

وروى ابن أبي شيبة في المصنف: أن عليًا سمع يوم الجمل صوتًا تلقاء أم المؤمنين فقال: انظروا ما يقولون: فرجعوا فقالوا يهتفون بقتلة عثمان، فقال: «اللهم أحلل بقتلة عثمان ضربًا». ويبرر ابن حزم موقف علي رضي الله عنه في تأخير القصاص من قتلة عثمان بقوله: (فنقول وبالله التوفيق: أما قولهم إن أخذ القود من قتلة عثمان المحاربين لله ولرسوله الساعين في الأرض بالفساد، والهاتكين حرمة الإسلام والحرم والإمامة والهجرة والخلافة، والصحبة والسابقة فنعم، وما خالفهم علي قط في ذلك ولا في البراءة منهم، ولكنهم كانوا عددًا ضخمًا بما لا طاقة له عليهم، فقد سقط عن عليّ رضي الله عنه ما لا يستطيع كما سقط عنه وعن كل مسلم ما عجز عنه، ولو أن معاوية بايع عليًا لتقوى به على أخذ الحق من قتلة عثمان، فصح أن الخلاف هو الذي يدعى على إنفاذ الحق عليهم) (الفصل في الملل والنحل، ج٤، ص ١٦٢).

وقال صاحب كتاب تحقيق مواقف الصحابة ج٢، ص ٣٢٨: «ويتتبع الروايات في كتب التاريخ والحديث يلاحظ أن موقف عليّ من قتلة عثمان المندسين في جيشه كان موقف الحذر المحتاط منهم المتبرئ من فعلهم».

ثم تحدث صاحب تحقيق مواقف الصحابة عن معتزلي الفتنة فقال:

٨) إن الموقف الأحوط والأمثل هو موقف الذين اعتزلوا الفتنة وآثروا عدم قتال أهل القبلة، وقد اعتمد هؤلاء أصلًا شرعيًا ثابتًا بنصوص صريحة عن النبي صلى الله عليه وسلم وقد كان من كمال فقههم التفريق بين صحة إمامة عليّ رضي الله عنه ووجوب القتال معه بل صحة قتال أهل القبلة؛ إذ لا يلزم من كونه إمامًا شرعيًا أن يكون قتاله لأهل الجمل وصفين صوابًا بإطلاق. وعلى رأس هؤلاء الذين اعتزلوا الفتنة سعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد، وزيد بن ثابت، وعبد الله بن مغفل، ومحمد بن مسلمة، وأبو برزة الأسلمي وأبو بكرة وأبو موسى الأشعري، وأسامة بن زيد وعبد الله بن عمر رضي الله عنهم جميعًا.

وهكذا ذكرنا أهم سبب للفتنة التي أدت إلى وقوع القتال بين الصحابة وأدت بدورها إلى نشوب القتال بين أهل القبلة الواحدة والدين الواحد والرسول الخاتم، كما ذكرنا أهم مواقفهم من هذه الفتنة، وحاولنا تحرّي الحق من مصادره الصحيحة ليسقط الباطل، وللحديث بقية إن شاء الله.

فإلى لقاء أستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه.

فقه المرأة المسلمة

فقه المرأة في النكاح

الحلقة
(٣٧)

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أما بعد: انتهينا بفضل الله تعالى من فقه المرأة في الحج، ونبدأ في فقه المرأة في النكاح سائلين الله عز وجل أن يتقبل جهد المقل، وأن ينفع به المسلمين.

إعداد: د/عزة محمد رشاد (أم تميم)

أولاً: تعريف النكاح:

النكاح لغة: قال الأزهري: أصل النكاح في كلام العرب الوطء، وقيل للتزوّج نكاح لأنه سبب للوطء المباح. (لسان العرب: ٢/ ٦٢٦).

قال ابن فارس: «النون والكاف والحاء أصل واحد، وهو البضاع. ونكح ينكح. وامرأة ناكح في بني فلان، أي ذات زوج منهم. يقال نكحت: تزوّجت. وأنكحت غيري.

(مقاييس اللغة: ٥/ ٤٧٥).

النكاح شرعًا: حلّ استمتاع الرجل من امرأة لم يمنع من نكاحها مانع شرعي. (الدر المختار: ص: ١٧٧).

ثانيا: الترغيب في النكاح:

جاء في كتاب الله آيات تحث على الزواج وترغب فيه، وتدل على أنه آية من آيات الله ومنّة عظيمة من الله تفضل بها على عباده.

قال تعالى: « وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ » (الروم: ٢١).

وقال تعالى: « وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ » (النحل: ٧٢).

وقد أمر الله تعالى الأولياء بإنكاح من تحت ولايتهم من الأيامى، وهم: من لا أزواج لهم من رجال ونساء، ثيب وأبكار، ووعد سبحانه المتزوج بالغنى بعد الفقر؛ قال تعالى: «وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ » (النور: ٣٢).

وكذا، جاءت السنة بالترغيب في النكاح:

- عن عبد الله قال: قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا مَعْشر الشباب مَنْ استطاع البَاءَة فلْيتزوّجْ فإنه أغض للبصر وأحصن للفرْج ومَنْ لم يستطعْ فعليْه بالصّوْم فإنّه لهُ وجاءٌ» أخرجه البخاري (٥٠٦٥) ومسلم (١٤٠٠).

الباءة: أصلها في اللغة: الجماع، مشتقة من

المباءة وهي المنزل، ومنه مباءة الإبل وهي مواطنها، ثم قيل لعقد النكاح: باءة، لأن من تزوج امرأة بوأها منزلاً. (مقاييس اللغة: ١/ ٣١٢)، لسان العرب (١/ ٣٦).

الوجاء: هو رضّ الخصيتين، والمراد هنا: أن الصوم يقطع الشهوة ويقطع شر المني كما يفعله الوجاء. مسلم بشرح النووي (١٨٨/٥).

- وعن ابن عمرو، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «الدُّنيَا مَتَاعٌ وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا المَرْأَةُ الصَّالِحَةُ» أخرجه مسلم (١٤٦٧).

ثالثا: حكمة النكاح:

الله تبارك وتعالى حكيمٌ عليمٌ ومن تمام حكمته ألا يأمر بشيء-سواء كان واجبًا أو مستحبًا- إلا وكان في هذا الأمر مصلحة كاملة أو راجحة.

وفوائد النكاح كثيرة منها:

أنه سبب لوجود النوع الإنساني، ومنها قضاء الوطر بنيل اللذة والتمتع بالنعمة وهذه هي الفائدة التي في الجنة إذ لا تناسل فيها، ومنها غض البصر وكف النفس عن الحرام وغير ذلك. عون المعبود (٢٨/٦).

والوطر: كل حاجة كان لصاحبها فيها همَّة. اللسان (٩/ ٣٤٠).

أيضًا من حكم الزواج طيب نفس نبينا صلى الله عليه وسلم يوم القيامة بكثرة أمته وسيأتي الحديث، ومنها إذا كان الإنسان يدعو إلى الله فهو في أشد الحاجة إلى ولد يقوم بعد موته مقامه في الدعوة إلى الله والنصح لعباده، ومنها دعاء الولد لوالده بعد انقطاع عمله بالموت.

- عن معقل بن يسار قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إني أصبت امرأة ذات حسب وجمال وانها لا تلد، أفأتزوجها، قال: «لا»، ثم أتاه الثانية فنهاه ثم أتاه الثالثة، فقال: تَزَوَّجُوا الْوَدُودَ الْوَلُودَ فَإنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمُ الأُمَمَ» صحيح سنن أبي داود (٢٠٥٠) وصحيح ابن ماجه (١٨٦٣) وصحيح النسائي (٣٢٧٧).

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إذَا مَاتَ الإنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ إلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ» أخرجه مسلم (١٦٣١).

والأدلة في هذا الباب من كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرة، لم أذكر إلا بعضًا منها خشية الإطالة.

رابعًا: حكم الزواج:

قال الله تعالى: «فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ» (النساء: ٣).

- عن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنْ اسْتَطَاعَ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ» أخرجه البخاري (٥٠٦٥) ومسلم (١٤٠٠).

- وعن أنس «أَنَّ نَفَرًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم سَأَلُوا أَزْوَاجَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم عَنْ عَمَلِهِ فِي السِّرِّ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا أَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا آكُلُ اللَّحْمَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا أَنَامُ عَلَى فِرَاشٍ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ فَقَالَ: مَا بَالُ أَقْوَامٍ قَالُوا كَذَا وَكَذَا؟ لَكِنِّي أُصَلِّي وَأَنَامُ وَأَصُومُ وَأُفْطِرُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي» أخرجه مسلم (١٤٠١).

اختلف الفقهاء في حكم النكاح هل هو واجب أم مستحب؟ والجمهور على استحبابه.

قال الكاساني في بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع (٢/ ٢٢٨) بعد أن ساق حديث عبد الله المتقدم: قال: أقام الصوم مقام النكاح، والصوم ليس بواجب فدل أن النكاح ليس بواجب أيضًا، لأن غير الواجب لا يقوم مقام الواجب. ولأن في الصحابة-رضي الله عنهم-

من لم تكن له زوجة، ورسول الله-صلى الله عليه وسلم- علم منه بذلك ولم ينكر عليه، فدل أنه ليس بواجب.

قال ابن رشد القرطبي في المقدمات الممهدات (١ / ٤٥٢): بعد أن ساق الأدلة على أن النكاح مستحب وليس بواجب، قال: فإذا ثبت بهذه الأدلة أن النكاح غير واجب علم أن الأوامر الواردة في القرآن بالنكاح في قوله: «فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ» (النساء: ٣)، وقوله: «وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ» (النور: ٣٢) ليست على الوجوب. وإذا لم تكن على الوجوب فهي على الندب لا على الإباحة. والدليل على ذلك حض رسول الله-صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ- على النكاح ونهيه عن التبتل وهو ترك النكاح.

قال الإمام النووي في شرح مسلم (١٨٩/٥): بعد أن ساق حديث عبد الله المتقدم، قال: وفي هذا الحديث الأمر بالنكاح لمن استطاع وتاقت إليه نفسه، وهذا مجمع عليه، لكنه عندنا وعند العلماء كافة أمر ندب لا إيجاب، فلا يلزم التزوج والتسري، سواء خاف العنت أم لا، هذا مذهب العلماء كافة ولا يُعلم أحد أوجبه إلا داود ومن وافقه من أهل الظاهر ورواية عن أحمد، فإنهم قالوا: يلزمه إذا خاف العنت أن يتزوج أو يتسرى، قالوا وإنما يلزمه في العمر مرة واحدة، ولم يشترط بعضهم خوف العنت...

واحتج الجمهور بقوله تعالى: «فانكحوا ما طاب لكم من النساء» إلى قوله تعالى «وما ملكت أيمانكم» فخيره سبحانه وتعالى بين النكاح والتسري.

قال الإمام المازري: «هذا حجة للجمهور؛ لأنه سبحانه وتعالى خيره بين النكاح والتسري بالاتفاق، ولو كان النكاح واجبًا لما خيره بينه وبين التسري؛ لأنه لا يصح عند الأصوليين التخيير بين واجب ومستحب، لأنه يؤدي إلى إبطال حقيقة الواجب وأن تاركه لا يكون آثمًا.

أما قوله صلى الله عليه وسلم: «فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي» فمعناه: من رغب عنها إعراضا عنها غير معتقد لها على ما هي عليه، والله أعلم.

قال المرداوي في الإنصاف (٧/٨) باختصار: إن الناس في النكاح ثلاثة أقسام:

القسم الأول: من له شهوة ولا يخاف الزنا، فهذا النكاح في حقه مستحب على الصحيح من المذهب، نص عليه وعليه جماهير الأصحاب.

القسم الثاني: من ليس له شهوة كالعنين ومن ذهبت شهوته لمرض أو كبر أو غيره.

فعموم كلام المصنف هنا أنه سُنَّة في حقه أيضا.

والقول الثاني: هو من حقهم مباح، وهو الصحيح من المذهب.

القسم الثالث: من خاف العنت، فالنكاح في حقه واجب قولاً واحدًا، إلا أن ابن عقيل ذكر رواية أنه غير واجب. اهـ.

العنين الذي لا يأتي النساء - لسان العرب (٤٨٤/٦).

تعقيب وترجيح:

أرى-والله تعالى أعلم- أن الصحيح في هذه المسألة هو ما ذهب إليه الجمهور من أن النكاح سنة لما تقدم من الأدلة المقتضية للترغيب في مطلق النكاح.

أما من خشي العنت وهو الوقوع في الزنا وكان لديه مؤنة الزواج فيلزمه إعفاف نفسه كما ذهب إلى ذلك الحنابلة وغيرهم، عملاً بالقاعدة الفقهية: «الوسائل لها أحكام المقاصد»، فالوسيلة إلى واجب واجبٌ، والوسيلة إلى مستحبٌ مستحبٌ، فعدم الوقوع في الزنا واجب والوسيلة إلى ذلك النكاح، فأصبح النكاح واجبًا لمن كانت تلك حالته ولديه مؤنة.

والحمد لله رب العالمين.

ميراث الأنبياء

الحمد لله وحده، وأصلي وأسلم على من لا نبي بعده، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وبعد:

فالعلم أفضل مكتسَب، وأشرف منتسَب، وأنفس ذخيرة تُقتَنى، وأطيب ثمرة تُجتَنَى، نور زاهر، وقوت هنيء، وما اكتسب مكتسب مثل علمٍ يهدي صاحبه إلى هدَى أو يردَه عن ردَى، العلم أجلّ المطالب، وأسمى المواهب، وهو الوسيلة لكل الفضائل، هو الأنيس في الوحدة والصاحب في الخلوة، والدليل في السراء والضراء، ومنار سُبُل الجنة، به يُطاع الربَ ويُعبَد، ويُعرَف الحلال من الحرام.

إعداد **عبده أحمد الأقرع**

ولقد عني الإسلام بالعلم أبلغ عناية وأتمها، دعوةَ إليه، وترغيبًا فيه، وتعظيمًا لقدره، وتنويهًا بأهله، وحثًا على طلبه وتعلمه وتعليمه. والاستزادة منه شرفٌ لا يُضاهى، وفضلٌ لا يُحدّ، ثمراته عاجله، وقطوفه دانية، فوائده شتّى وعوائده حميدة، تُحفّز ذا الهمة إلى طلبه والاشتغال به.

يمنَ الله به على من شاء، امتن الله على الأنبياء الكرام بما آتاهم من العلم: فقال عز وجل عن يوسف عليه السلام: «وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا» (يوسف: ٢٢).

وقال سبحانه وتعالى عن كليمه موسى عليه السلام: «وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا» (القصص: ١٤).

وقال سبحانه وتعالى عن داود وسليمان عليهما السلام: «وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا» (الأنبياء: ٧٩).

وقال سبحانه وتعالى عن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم: «وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ

وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا » (النساء: ١١٣)، وأمر الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم أن يستزيده من هذا العلم الذي علَّمه، فقال سبحانه وتعالى: « وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا » (طه: ١١٤)، وكفى بهذا شرفا للعلم. فتعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعمل وعلَّم.

عن أبي ذر رضي الله عنه قال: تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما من طائر يُقلِّب جناحيه في الهواء، إلا وذكر لنا منه علمًا، قال: فقال صلى الله عليه وسلم: « ما بقي شيءٌ يقرِّب من الجنة، ويباعد من النار، إلا وقد بُيِّن لكم » (الصحيحة: ١٨٠٣)، وقال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "قام فينا النبي صلى الله عليه وسلم مقامًا، فأخبرنا عن بدء الخلق، حتى دخل أهل الجنة منازلهم، وأهل النار منازلهم، حفظ ذلك من حفظه، ونسيه من نسيه (رواه البخاري: ٣١٩٢).

وبذلك يكون صلى الله عليه وسلم قد بلَّغ رسالة ربه، وأقام الحجة على الأمة. وقد أمر صلى الله عليه وسلم أصحابه ومن بعدهم بأن يبلِّغوا عنه. فقال صلى الله عليه وسلم: « بلغوا عني ولو آية » (رواه البخاري: ٣٤٦١).

فأطاع أصحابه أمره، وساروا على دربه، واقتفوا أثره، وعملوا بوصاياه، ورحلوا إلى الآفاق، وأفنوا أعمارهم، وأنفقوا أموالهم حتى نقلوا إلينا هذا الدين، وما فعلوا ذلك إلا طاعة لربهم وتأسيًا بنبيهم صلى الله عليه وسلم، ولأنهم يعلمون شرف العلم وتبليغه، وعظيم أثره.

ومن عرف شرف ما يطلب هان عليه ما يبذل.

قال الإمام أحمد رحمه الله: « العلم لا يعدله شيءٌ ».

وقال أيضًا رحمه الله: « طلب العلم أفضل الأعمال لمن صحَّت نيته ».

ولقد كان السلف ينفقون جُلَّ أموالهم في سُبُل تحصيل العلم ونشره، ولما رأيت أن كثيرًا من الناس في هذا الزمان قد زهدوا في العلم، ورغبوا عن الإنفاق في سبيل طلبه والرحلة إلى العلماء لتحصيله، أردت أن أذكر نفسي وإخواني ببعض فضائل العلم وثمراته العاجلة والآجلة حتى نشمر عن ساعد الجد، ونجدَّ في طلبه حتى نظفر بثمراته، وثمراته لا تُحصَى:

فضائل طلب العلم

استشهد الله بأولي العلم على أجلِّ مشهود عليه وهو توحيده قال الله عز وجل: « شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ » (آل عمران: ١٨).

كما أن الله أمر رسوله محمدًا صلى الله عليه وسلم أن يستشهد بأهل العلم على أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال تعالى: « وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ » (الرعد: ٤٣).

إن العلم يهدي إلى الإيمان، قال الله تعالى: « وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ » (الحج: ٥٤).

إن العلم يهدي إلى الحق، قال الله تعالى: « وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ » (سبأ: ٦).

والعلم يرفع الله به الدرجات، قال الله تعالى: « يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ » (المجادلة: ١١).

وقد نفى الله التسوية بين أهل العلم وغيرهم من الناس، قال الله تعالى: « قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ » (الزمر: ٩).

كما أن شهادة الله عز وجل لأهل العلم بالخشية له سبحانه وتعالى، قال الله تعالى: « إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ » (فاطر: ٢٨).

إن أهل العلم أكثر الناس معرفة للحق وإيمانًا به، قال الله تعالى: « وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا » (آل عمران: ٧).

كما أن أهل العلم أعرف الناس بالخير والشر، قال الله تعالى عن قارون: « فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ۖ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ » (القصص: ٧٩- ٨٠).

وقد استشهد الله سبحانه بأهل العلم، قال الله تعالى: « وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْبَعْثِ ۖ فَهَٰذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ » (الروم: ٥٥-٥٦).

إن طلب العلم جهاد في سبيل الله، قال الله تعالى:

«وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ» (التوبة: ١٢٢).

وقد أمر الله الناس بالرجوع لأهل العلم عما أشكل عليهم، قال الله تعالى: «فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ» (النحل: ٤٣).

وقال تعالى: «وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا» (النساء: ٨٣)، قال أبو العالية في معنى «أولي الأمر» في الآية: هم أهل العلم، ألا ترى أنه يقول: «ولو ردُّوهُ إلى الرَّسُولِ وإلى أولي الأمر منهُم لعلمهُ الذين يَسْتنبطونَه منهُم».

إن العلم هو تركة الأنبياء وتراثهم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا، وإنما ورّثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر» (صحيح الجامع: (٦٢٩٧)، معنى: (الحظ) النصيب، والمعنى: أخذ نصيبًا تامًا لا حظ أوفر منه).

إن ثواب العلم دائم لا ينقطع، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له» (مسلم: ١٦٣١).

ولله دَر من قال: «علم الرجل ولده المخلد».

ومن أراد الله به خيرًا يفقهه في الدين، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين» (متفق عليه).

ومنها: طلب العلم طريق إلى الجنة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا، سهل الله له به طريقًا إلى الجنة» (مسلم: ٢٦٩٩).

والملائكة تضع أجنحتها رضًا لطالب العلم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من خارج خرج من بيته في طلب العلم إلا وضعت له الملائكة أجنحتها رضًا بما يصنع حتى يرجع» (صحيح الجامع: ٥٧٠٢).

وقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم لطالب العلم بالنضرة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نضَر الله امرأ سمع منا حديثًا، فحفظه حتى يبلغه، فرُبَّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ورُبَّ حامل فقه ليس بفقيه» (صحيح الجامع: ٦٧٦٦).

فضل العالم على العابد

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وفضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب» (صحيح الجامع: (٦٢٩٧)).

يقول الإمام ابن رجب رحمه الله: «والسر في ذلك والله أعلم: أن الكوكب ضوؤه لا يعدو نفسه، وأما القمر ليلة البدر فإن نوره يشرق على أهل الأرض جميعًا فيعمهم نوره، فيستضيئون بنوره ويهتدون به في سيرهم»؛ فالحديث تضمن مثلًا بديعًا يتضح من خلاله مدى الفرق بين العالم والعابد، حيث شبَّه صلى الله عليه وسلم العالم بالقمر ليلة البدر، أي ليلة الخامس عشر والتي فيها يكون نهاية كمال القمر وتمام نوره، وشبه العابد بالكواكب.

كما أن العالم يستغفر له من في السماوات ومن في الأرض، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وإن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض والحيتان في جوف الماء» (صحيح الجامع: ٦٢٩٧).

ومنها: طالب العلم تغشاه الرحمة وتحفه الملائكة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وما اجتمع قومٌ في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده» (مسلم: ٢٦٩٩).

وطلب العلم داخل في الاستثناء من اللعن، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها، إلا ذكر الله تعالى، وما والاه، وعالمًا، أو متعلمًا» (صحيح الجامع: ٣٤١٤).

طلب العلم أداء فريضة إلهية، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «طلب العلم فريضة على كل مسلم» (صحيح الجامع: ٣٩١٣).

فضلًا عن محبة الملائكة للعلم، عن صفوان بن عسال المرادي رضي الله عنه قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو في المسجد متكئ على بُرد له أحمر، فقلت له: يا رسول الله، إني جئت أطلب العلم، فقال: «مرحبًا بطالب العلم، إن طالب العلم تحفه الملائكة، وتظله بأجنحتها، ثم يركب بعضهم بعضًا حتى يبلغوا السماء الدنيا من

محبتهم لما يطلب» (صحيح الترغيب: ٧١).

طلب العلم قد يعادل أجر حاج تامة حجته، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من غدا إلى المسجد لا يريد إلا أن يتعلم خيرًا أو يعلّمه، كان له كأجر حاج، تامًّا حجته» (صحيح الترغيب: (٨٦)).

وطالب العلم يستغفر له كل شيء، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «صاحب العلم يستغفر له كل شيءٍ، حتى الحوت في البحر» (صحيح الجامع: ٣٧٥٣).

إن طالب العلم لا يشبع من طلبه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «منهومان لا يشبعان: طالب علم، وطالب دنيا» (صحيح الجامع: (٦٦٢٤)، والمعنى: بلوغ الهمة في الشيء).

هنيئًا لأهل العلم بالعلم

عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا أبا المنذر؟ أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟». قال: قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «يا أبا المنذر: أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟» قال: قلت: «اللّه لا إلـه إلّا هُو الحيُّ القيُّومُ». قال: فضرب في صدري، وقال: «ليهنك العلم أبا المنذر» (مسلم: (٨١٠)، معنى قوله: ليهنك العلم: أي ليكن العلم هنيئًا لك).

ومنها: أن طالب العلم بأمان من النفاق، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خصلتانِ لا يجتمعان في منافق: حسن سمت، ولا فقهٌ في الدين» (صحيح الجامع: ٣٢٢٩).

وطالب العلم من خير الناس إسلامًا، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خيركم إسلامًا أحاسنكم أخلاقًا إذا فقهوا» (صحيح الأدب المفرد: ٢١٨). في الحديث بيان أثر الفقه في تحسين الأخلاق ورفع المنزلة حتى يكون من خير الناس، لأن الفقه يبلغ الورع والتقوى وحُسن الخلق، فالعالم الصادق يكسره علمه فيزداد تواضعًا.

والعلم خير ما يخلف الإنسان، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خير ما يخلف الإنسان بعده ثلاثٌ: ولد صالح يدعو له، وصدقة تجري يبلغه أجرها، وعلمٌ ينتفع به من بعده» (صحيح الجامع: (٣٣٢٦)، والمعنى: أن عمل الميت ينقطع بموته، وينقطع تجدد الثواب له، إلا في هذه الأشياء الثلاثة).

تلك والله المكارم والغنائم، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون، وعليه يحسد الحاسدون، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم، وحقيق بمرتبة هذا شأنها أن تنفق نفائس الأنفاس عليها، ويسبق السابقون إليها، وتوفر عليها الأوقات، وتتوجه نحوها الطلبات. وأصحاب هذه المرتبة يدعون عظماء في ملكوت السماء كما قال بعض السلف: من علم وعمل وعلم، فذلك يُدعَى عظيمًا في ملكوت السماء.

إن أهل العلم لا يشقى بهم جليسهم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن لله: ملائكة سياحين في الأرض، يطوفون في الطرق، يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قومًا يذكرون الله تنادوا: هلموا إلى حاجاتكم، فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا، فيسألهم ربهم، وهو أعلم منهم: ما يقول عبادي؟ فيقولون: يسبحونك، ويكبرونك، ويحمدونك، ويمجدونك». وفي نهاية الحديث، «فيقول: فأشهدكم أني قد غفرت لهم، فيقول ملك من الملائكة: فيهم فلان ليس منهم، إنما جاء لحاجة. فيقول: هم القوم لا يشقى بهم جليسهم» (مختصر مسلم: ١٨٩٠).

إن العلم نعمة من الله تستوجب الشكر، قال الله عز وجل: «وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ» (النمل: ١٥).

قال الطبري رحمه الله: (يقول جل ثناؤه: وقال داود وسليمان: الحمد لله الذي فضلنا بما خصنا به من العلم الذي أتاناه، دون سائر خلقه من بني آدم في زماننا هذا على كثير من عباده المؤمنين به في دهرنا هذا) (تفسير الطبري: ١٩/٤٣٧).

تلك بعض ثمرات العلم: فإن قال قائل: كيف أظفر بها، قلت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنَّمَا العلمُ بالتَّعلُم، وإنَّما الحلمُ بالتَّحلُم، ومن يتحرَ الخيرَ يُعطَه، ومن يَتَّقِ الشَّرَ يُوقَهُ» (صحيح الجامع: ٢٣٢٨).

اللهم إني أسألك علمًا نافعًا، ورزقًا طيبًا، وعملًا متقبلًا، أقول مذكرًا يحسن بالمسلم أن يحافظ على هذا الدعاء بعد التسليم من صلاة الصبح كل يوم تأسيًا بالنبي صلى الله عليه وسلم

مواقف محفورة في تاريخ الأمة تجاه قضاياها

الحمد لله مقدر الأزمان والآجال، ومُبدع الكون على غير سابق مثال، أحمده وأشكره وهو أهل الشكر على كل حال، وبعد،

فإن الأمة الإسلامية تعيش على وقعٍ ما يحدث صباح مساء على بُقعة من أرضها، فبينما عيون زائغة تترقب، متتبعة ما حلّ بها من آثار ونكبات وكوارث من جراء كورونا التي ألّمت بالعالم أجمع، فأذاقته مُرّ العيش والهلع والخوف مما يحدث صباح مساء، بين آمالٍ وتمنيات، ودعوات بأن تنقشع الغمة وتنجلي، وأن يرفع الله سبحانه عنا هذا البلاء، وتعود الحياة إلى سابق عهدها، بعِبَر وعظات تجعل البشرية تراجع نفسها، مستوحية الهمة والاعتبار مما ألمَّ بها من آلام ودمار جراء كورونا، والتي لم ينجُ منها أحد، وبين انتظار بعيون زائغة متوحشة تترقب موجة ثانية شرسة لجائحة كورونا، وتخوّف من إغلاق جديد لكل وسائل الحياة مرة ثانية، بعد انفراجة متحفظة بالاحترازات خوفا من عودة الانتشار مرة أخرى.

إعداد **جمال سعد حاتم**

ومازالت البقاع الإسلامية تتلقى الضربات بين اختراق إسرائيلي للكيانات العربية التي كانت حائط صدّ ضد التطبيع، ولكن تطبيع الخفاء زاد في العلن، بتدخلات أجنبية في كيان دولٍ كلبنان وليبيا، يكاد تقضي على كيان الدولة.

سباقات محمومة بين الدول لتصنيع لقاح كورونا

بينما تتسارع دول العالم لتعتلي المقدمة والسبق في إيجاد لقاح للوقاية من وباء كورونا، بين جدلٍ علني وسياسي وسباقات محمومة لجني ثمار السبق في تصنيع لقاح تجني من ورائه شركات الأدوية ما يعوض دولها عن الخسائر الاقتصادية التي أصابتها من جراء هذا الوباء في صراع محموم بين روسيا والصين وأمريكا وبريطانيا، بين تشكيك وتحفظ، وقد جاء إعلان الرئيس الروسي بوتين عن إنتاج أول لقاح في العالم للوقاية من وباء كورونا الذي يثير فزع البشرية في شتى أنحاء المعمورة، وأدَّى إلى حالة من الشلل الاقتصادي، والتباعد الاجتماعي، وألحق بالعالم خسائر اقتصادية هائلة، ولم تكن الولايات المتحدة سعيدة بهذا الإعلان الروسي عن إنتاج اللقاح الأول ضد كورونا، والذي يحمل اسم «سبوتنيك-٥»، وهي تراهن على أن تكون السباقة، أو على الأقل شريكة في إنتاج اللقاح الأول، وسرعان ما أعلن ترامب عن توصل أمريكا للقاح ينقذ البشرية من هذا الوباء، وكذلك الصين التي أعلنت أنها اقتربت من نهاية المرحلة الثالثة

والأخيرة من التجارب السريرية، وأنها بدأت في إنشاء مصانع عملاقة تنتج مئات الملايين من الجرعات، ويستمر التنافس على أشده لعقد الصفقات المتسارعة مع الدول قبل الاعتراف العالمي باللقاح المنتج.

ومع حالة التيه التي يعيشها العالم ترقبًا للوصول إلى خط النهاية بخصوص المصل الجديد لكورونا، وانشغال العالم كله بهذا الموضوع؛ إذ يفاجئنا الكيان الصيهوني بعيدًا عن إطار كورونا بخبر تطبيع في أجواء عربية لم يستطع الاقتراب منها من قبل.

وحديثنا ليس عن جواز موادعة أو معاهدة أهل الكتاب وغيرهم من غير المحاربين، وهو أمر جائز، مجمع عليه، وقد عاقد النبي صلى الله عليه وسلم قريشًا في الحديبية، وعاهد يهود المدينة، فعاهد بني قينقاع، وبني قريظة، وبني النضير، ويهود خيبر، وأخذ عقد الذمة على نصارى نجران، وتعامل معهم بالبيع والشراء، وغيرها من المعاوضات، وقبل منهم الهدية، وحفظ جوارهم وعقودهم.

وانما حديثنا في تقدير المفسدة والمصلحة في هذه المعاهدات، والإشكال أن السلام أصبح في مقابل التطبيع، وليس في مقابل قيام دولة فلسطينية مستقلة وذات سيادة على حدود يونيو ١٩٦٧م، وعاصمتها القدس الشرقية، في الوقت الذي تعلن فيه أمريكا التزامها بأن القدس عاصمة لإسرائيل، وأنها ملتزمة بابقاء التفوق العسكري لإسرائيل.

وتجدر الإشارة هنا أننا نُشيد ونُقدر موقفًا عربيًا معلنًا من المملكة العربية السعودية التي أعلنت عقب هذا التطبيع تمسكها والتزامها بمبادرة السلام العربية، كما أعلن الأشقاء في السودان عن رفضهم مقايضة أمريكا إخراجهم من دائرة الإرهاب مقابل قبولهم التطبيع مع إسرائيل واقامة العلاقات مع الكيان الصهيوني.

أما عن موقف مصر من القضية الفلسطينية، فهو موقف محوري ثابت ومعلن داعم للقضية الفلسطينية عبر التاريخ، مثبت لحق الفلسطينيين في أرض فلسطين، واقامة دولتهم وعاصمتها القدس الشريف، فحفظ الله مصر وجعلها عزة ومنعة للإسلام والمسلمين.

ورحم الله الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود، رحمة واسعة، فقد كان صاحب المواقف المشرفة، وصاحب قرار حظر البترول عام حرب ١٩٧٣م بين مصر وسوريا وإسرائيل.

أسأل الله القدير أن يُعيد اللُّحمة إلى شعوب الأمة وقادتها، وأن يمُنّ على الأمة بالأمن والأمان والسلامة، وأن يجعل من هذا العام نصرًا للإسلام والمسلمين، وأن يكشف البلاء والوباء عن العالم أجمع.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

إنا للّه وإنا إليه راجعون

توفي يوم الأحد الموافق ٢٥ محرم ١٤٤٢هـ رئيس لجنة الدعوة بفرع السرو دمياط، وعضو مجلس الإدارة المهندس/ عنتر علي بكر، غفر الله له ورحمه رحمة واسعة.

ويتقدم أعضاء مجلس الإدارة وأسرة مجلة التوحيد بخالص العزاء إلى أسرته ومحبيه، وانا لله وانا إليه راجعون.

أخلاقنا من الكتاب والسنة

مكارم الأخلاق

إعداد **إبراهيم رفعت**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فقد جاءت الأخلاق في القرآن الكريم والسنّة النبوية المطهَرة الشريفة كمجموعة من المبادئ والقيم والقواعد الإسلامية التي أقرّها الوحي، وتهدف إلى ضبط وتنظيم التصرفات والسلوك الإنساني بين أفراد المجتمع؛ حتى تحقّق الهدف الذي خلق من أجله الإنسان، والمطلع على الديانات الأخرى يجد أنها حثت على حسن الأخلاق واعتبرتها معيارًا لتقدّم الشعوب وحضاراتها.

فقد حثّنا النبي صلى الله عليه وسلم بالتحلّي بالأخلاق الكريمة والراقية المحمودة، والتي جاء بها إلينا ليُبلّغنا إيّاها، ويحثّنا عليها كما قال بالحديث الشريف: "إنّما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"، وجاء وصف القرآن الكريم لخلق الرّسول عليه السلام بالعظيم في قوله تعالى: (وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ) (سورة القلم:٤).

خلق إفشاء السلام:

ومعنا في هذا المقال خُلق كريم إذا التزم به المسلم سادَ بين الناس المحبة والمودة والوئام والرحمة والسلام: ألا وهو تحية الإسلام "وتحيته السلام". والسلام سُنّة مؤكّدة، والردّ عليه فرض عين إن قصد به شخصٌ معينٌ، وفرض كفاية إن قُصِدَ به جماعةٌ من الناس، وإن كان الردّ منهم جميعهم كان ذلك أفضل.

والواجب في الردّ أن يكون مثل السلام أو زيادةً عليه، ولا يجوز أن ينقص؛ لأنّ الله قال في كتابه: ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴾ (النساء:٨٦).

والسنة في الجواب: الجهر به حتى يسمع من بدأ به؛ لأنّه إن لم يُسمعه فكأنّما لم يردّ عليه، إلا بوجود عذر لعدم إسماعه إيّاه.

فالسلام تحية أهل الجنة والطريق الموصل إلى الجنة: كما في حديث أبي يوسف عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "يا أيها الناس، أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام" (رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح).

ومن المؤسف أن نجد في زمننا من يُعرض عن هذا الخير العظيم الذي نتهاون فيه والأعظم أسفًا وألمًا أن يكون الإعراض عن إفشاء السلام بين أئمة المساجد وأهل الدعوة فضلاً عن عموم المسلمين.

والسلام ليس مقتصرًا على أشخاص دون آخرين، بل لجميع المسلمين، من تعرف ومَن لا تعرف، فمن حقّ أخيك المسلم عليك أن تسلم عليه إذا لقيته، وأن ترد عليه السلام إذا بدأك به، عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "حقّ المسلم على المسلم خمس: ردُ السلام، وعيادةُ المريض، واتّباعُ الجنازة، وإجابةُ الدّعْوة، وتشميتُ العاطس" أخرجه البخاري ومسلم.

وقد أصبحت تحية الإسلام اليوم غريبة جدًا

بين أهله، واستبدلت بتحية أهل الغرب ولا حول ولا قوة إلا بالله.

والسلامُ وردُّه صار بحسب طبيعة العمل والمنصب والجاه والغنى، وهذا مخالف تمامًا لما جاءت به الآيات والأحاديث النبوية الشريفة في الحثّ على إفشاء السلام، وأنه سببٌ في اكتمال الإيمان، ومن دواعي زرع المحبة بين المسلمين والسبيل إلى جنة عرضها السماوات والأرض.

فمما سبق تبين أهمية إفشاء السلام في حياة المسلمين، ولهذا حسدنا اليهود عليه كما جاء عنْ عائشة رضي الله عنها، عَن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " ما حسدَتكُمْ اليهودُ على شيْء ما حسَدتكُمْ على السَّلام والتَّأمين" (رواه ابن ماجه وغيره وصححه الألباني).

ومن أهم فضائل إفشاء السلام:

١- أنه من خير أمور الإسلام، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رجلاً سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم: أيُّ الإسلام خيرٌ؟ قال: "تُطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف".

٢- أنه من أسباب المودة والمحبة بين المسلمين، والتي هي من أسباب دخول الجنة، قال صلى الله عليه وسلم: "لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم" (رواه مسلم).

٣- أن كل جملة منه بعشر حسنات، وهو ثلاث جمل، فلمن جاء به كاملاً ثلاثون حسنة، عن عمران بن حصين رضي الله عنهما قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: السلام عليكم، فردّ عليه، ثم جلس، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "عشر"، ثم جاء رجل آخر، فقال: السلام عليكم ورحمة الله، فردّ عليه، ثم جلس، فقال: "عشرون"، ثم جاء آخر، فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فردّ عليه، وجلس فقال: "ثلاثون" (رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح).

٤- في إفشاء السلام واظهاره واعلانه بين الناس، حتى يكون شعارًا ظاهرًا بين المسلمين، لا يخص به فئة دون أخرى، أو كبيرًا دون صغير، ولا مَن يعرف دون مَن لا يعرف، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم" رواه مسلم.

قوله صلى الله عليه وسلم: "لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا"، فالجنة لا يدخلها إلا نفس مؤمنة، "ولا تؤمنوا حتى تحابوا"، فدل ذلك على أن التحابّ بين أهل الإيمان من الصفات الواجبة التي يجب تحققها بين المؤمنين.

"ولا تؤمنوا حتى تحابوا"، فكأن ذلك من قبيل شروط الوجوب في الإيمان، يعني: الكمال الواجب..

فهنا وجّههم النبي صلى الله عليه وسلم إلى السبب: "أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم"، بمعنى: إشاعة السلام والمحبة والطمأنينة بين الناس، وهذا مشاهَد، فإن الذي يسلم على الناس، يسلم على مَن يعرف، ومَن لا يعرف، تميل إليه القلوب، وتحبُّه، والذي لا يبالي بهم، ولا يكترث، ولا يسلم، ولا يلقي السلام على أحد، لا شكّ أن الناس ينقبضون منه.

٥- والأفضل في الابتداء بالسلام أن يُسلِّم الصغير على الكبير، والماشي على الجالس، والراكب على الماشي، والقليل على الكثير، فعن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: "يُسلِّم الصغير على الكبير، والمارّ على القاعد، والقليل على الكثير".

٦- ومن السنة إعادة السلام إذا افترق الشخصان ثم تقابلا، بدخول أو خروج، أو حال بينهما حائل ثم تقابلا، ونحو ذلك، ويدل عليه قول النبي صلى الله عليه وسلم: "إذا لقي أحدكم أخاه فليسلم عليه، فإن حالت بينهما شجرة أو جدار أو حجرة، ثم لقيه فليسلم عليه أيضًا".

ومن الجدير بالذكر أنَّ من آثار ترك إفشاء السلام أنه يُولِّد الحقد والحسد وعدم الاطمئنان وسوء العشرة بين الناس.

جعلنا الله وإياكم ممن حسُنت أخلاقهم، وأفشوا السلام بينهم، ورزقنا وإياكم الفردوس الأعلى من الجنة.

واحة التوحيد

من نور كتاب الله

بشارة الله لعباده المؤمنين

قال الله تعالى: "إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠) نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ (٣١) نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ " (فصلت ٣٠: ٢٣).

من أقوال السلف

عن الحسن في قوله تعالى: «وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ»، قال: الكتاب: القرآن. والحكمة: السنة. (أصول الاعتقاد).

من دلائل النبوة

إجابة دعائه صلى الله عليه وسلم

عن عبد اللهَّ بن عَمْرو رضي اللهَّ عنه "أنَّ النبيَّ صلى اللهَّ عليه وسلم خرج يومَ بَدْرٍ في ثلاثمائةٍ وخمسةَ عشَر، فقال: اللهُمَّ إنَّهُم حُفاةٌ فاحْمِلْهُمْ، اللهُمَّ إنَّهُمْ عُراةٌ فاكْسُهُمْ، اللهُمَّ إنَّهُمْ جِياعٌ فأشْبِعْهُمْ. ففَتَحَ اللهُ له، فانقَلَبوا وما منهُمْ رجلٌ إلا وقَدْ رجعَ بجَمَلٍ أو جَمَلَيْن، واكْتَسُوا وشَبِعوا". (سنن أبي داود).

من أدعية السلف

عن يونس بن حلبس، أنه كان يدعو: «اللهم إني أسألك حزمًا في لين، وقوة في دين، وإيمانًا في يقين، ونشاطًا في هدى، وبرًا في استقامة، وكسبًا من حلال».
اليقين لابن أبي الدنيا.

من حكمة الشعر

البكاء على الذنوب

بكيتُ على الذُّنوب لعظْم جُرْمي ... وحقّ لكلّ من يَعْصي البُكاءُ
فلوْ كانَ البُكاءُ يرُدُّ همّي ... لأسْعدت الدُّموعُ معًا دماءُ

(الرقة والبكاء لابن لأبي الدنيا

إعداد : علاء خضر

من معاني الأحاديث

«ذهب أهل الدثور بالأجور»

الدثور: جمع دثر، وهو المال الكثير، ويقع على الواحد والاثنين والجمع. النهاية لابن الأثير.

أحاديث باطلة لها آثار سيئة

(لا يزال الميت يسمع الأذان، ما لم يُطَيَّن قبره).

موضوع. أخرجه الديلمي في "مسند الفردوس" (٣٤٤/٣) معلقًا عن الحاكم، ووصله ابن الجوزي في "الموضوعات" (٢٣٨/٣).

(السلسلة الضعيفة للألباني).

من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

عن أبي أمامة الباهلي قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: اكفلوا لي بست أكفل لكم الجنة: إذا حدث أحدكم فلا يكذب، وإذا ائتمن فلا يخن، وإذا وعد فلا يخلف، وغضوا أبصاركم، وكفوا أيديكم، واحفظوا فروجكم.

(السلسلة الصحيحة للألباني).

حِكم ومواعظ

قال صيفي بن رباح التميمي لبنيه: يا بني، اعلموا أن أسرع الجرم عقوبة، البغي، وشر النصرة التعدي، وألأم الأخلاق الضيق، وأسوأ الأدب كثرة العتاب.

(ذم البغي لابن أبي الدنيا).

من أقوال آل البيت عن الصحابة

عن شقيق بن سلمة قال: قيل لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: استخلف علينا قال: «ما استخلف، ولكن إن يرد الله عز وجل بهذه الأمة خيرًا يجمعهم على خيرهم كما جمعهم بعد نبيهم صلى الله عليه وسلم على خيرهم». (الشريعة للآجري).

أثر السياق في فهم النص

(١٢٦)

حجاب المرأة المسلمة

(٣٦)

إعداد **د. متولي البراجيلي**

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فما زال حديثنا متصلاً عن أثر قرائن السياق على أدلة الحجاب، وقد قسمت أدلة الحجاب إلى ثلاث مجموعات: المجموعة الأولى: أدلة القرآن. المجموعة الثانية: أدلة السنة. المجموعة الثالثة: الآثار عن الصحابة ومن بعدهم.

وانتهيت بفضل الله تعالى من أدلة القرآن، وبدأت في أدلة السنة، تكلمت فيها عن أحاديث: منها حديث أمنا عائشة رضي الله عنها: "كان الركبان يمرون بنا..."، وذكرت حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ولا تنتقب المُحرِمَة ولا تلبس القفازين"، ثم ذكرت خلاف أهل العلم بين وقف هذا الجزء من الحديث على ابن عمر أو وصله لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

القرائن حول الحديث:

أ. قرينة لفظية:

وذلك في رواية أخرى للحديث أخرجها الإمام أحمد من طريق ابن إسحاق عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهى النساء في الإحرام عن القفاز والنقاب. (أخرجه الإمام أحمد ح٤٧٤٠، قال الأرناؤوط: حديث صحيح، وهذا إسناد حسن، محمد بن إسحاق وإن عنعنه صرح بالتحديث عند أبي داوود والحاكم.. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وكذلك صححه الألباني، انظر: إرواء الغليل ح١٠١٢).

ب. قرينة (حالية) غير لفظية: مفهوم المخالفة (وهو ما يكون مدلول اللفظ في محل السكوت مخالفًا لمدلوله في محل النطق، فيثبت للمسكوت عنه نقيض حكم المنطوق به).

وهو حجة عمل به الصحابة وأقره النبي صلى الله عليه وسلم، قال ابن قدامة: وهذا حجة (مفهوم المخالفة) في قول إمامنا أحمد، والشافعي، ومالك وأكثر المتكلمين، وقالت طائفة منهم أبو حنيفة: لا دلالة له، ثم ذكر الأدلة ورجح العمل به (انظر: روضة الناظر ٢/١١٥- ١٢١).

ويُستدل بمفهوم المخالفة على أن النقاب والقفازين كانا معروفين في النساء، لذا أمر النبي صلى الله عليه وسلم المرأة إذا أحرمت ألا تلبسهما.

لكن هل يُستفاد من مفهوم المخالفة في الحديث الوجوب؟، أم يستفاد منه فقط مشروعية النقاب والقفازين؟

هذه مسألة خلافية بين من يرى وجوب النقاب، ومن يرى استحبابه. وأرى والله أعلم أن مفهوم المخالفة في الحديث لا يُستفاد منه وجوب النقاب، وانما يُستفاد منه مشروعيته، أما الوجوب فقد يُستفاد من أدلة أخرى.

٣- حديث جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا خطب أحدكم المرأة؛ فإن استطاع أن ينظر إلى ما يدعوه لنكاحها فليفعل (مسند أحمد ح ١٤٥٨٦، وقال الأرناؤوط: حسن، وحسنه الألباني في المشكاة ح ٣١٠٦).

القرائن حول الحديث:

أ- قرائن لفظية منفصلة: وذلك في روايات للحديث بمعناه كحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم فأتاه رجل فأخبره أنه تزوج امرأة من الأنصار، فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم أنظرت إليها؟ فقال: لا، قال: فاذهب فانظر إليها؛ فإن في أعين الأنصار شيئًا" (صحيح مسلم. وبمعناه حديث أبي حميد الساعدي في مسند أحمد ح٢٣٦٠٢، ٢٣٦٠٣).

ب- وقد استدل من قال بوجوب تغطية الوجه والكفين -من الحديث- على أن نظر الخاطب أبيح للوجه والكفين -كما عند الجمهور- للضرورة فقط، فدلَّ على أن الأصل هو تغطية الوجه والكفين.

وأجيب عن ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم رفع الإثم عن النظر إلى الوجه والكفين فدلَّ ذلك على أنهما ليسا بعورة؛ لأنهما لو كانا من العورات لما جوَّز النبي صلى الله عليه وسلم النظر إليهما بحال.

وأحاديث النظر إلى المخطوبة، ليست نصًا في وجوب النقاب أو عدم وجوبه، لذا تنازع العلماء في الاستدلال بها.

٤- حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنهما قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نظر الفجاءة، فأمرني أن أصرف بصري (صحيح مسلم وغيره).

القرائن حول الحديث :

أ- ظنية الدلالة: الحديث ليس قطعي الدلالة، لذا اختلف العلماء في الاستدلال به: فمنهم من قال: فيه حجة على أنه لا يجب على المرأة ستر وجهها، وانما ذلك سنة مستحبة .... (انظر عون المعبود ٦/١٣١).

ومنهم من قال: إنه يستفاد من الحديث تحريم نظر الرجل إلى المرأة، وأن الأصل أن المرأة تغطي وجهها. والحديث فيه تحريم النظر إلى المرأة بعد نظر الفجأة، وهي النظرة غير المتعمدة، ولا يقصر صرف البصر على الوجه فقط، بل هو عام في صرف البصر، فالحديث قد يشمل النظر إلى الوجه أو الجسد أو الحجم أو المشية أو إلى أي شيء يتعلق بها مما يثيره.

٥- حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من جرَّ ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة، فقالت أم سلمة رضي الله عنها: فكيف يصنع النساء بذيولهن؟ قال: يرخين شبرا، فقالت: إذا تنكشف أقدامهن. قال: فيرخينه ذراعًا لا يزدن عليه (صحيح سنن أبي داود وغيره(.

القرائن حول الحديث:

أ. ظنية الدلالة: الحديث ليس نصًا قطعيَ الدلالة في وجوب تغطية وجه المرأة، ومن قال بوجوب تغطية وجه المرأة استدل من الحديث أن المرأة كلها عورة، في حق الرجال الأجانب، واستخدم قياس الأولى في ذلك، فإذا كان الأمر هكذا في القدمين وهما أقل فتنة من الوجه والكفين اللذين هما أكثر فتنة، ولا شك أن الوجه هو مجمع محاسن المرأة.

ب. قرينة لفظية: في رواية للحديث عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في ذيول النساء: "شبرًا"، فقالت عائشة رضي الله عنها إذا تخرج سُوقهن، قال: فذراع (صحيح سنن ابن ماجه وغيره).

هذه الرواية لم يستخدمها من قاس على حديث ابن عمر رضي الله عنهما الذي فيه القدمين لماذا؟ لأنه لو قاس الوجه على الساقين سيضعف القياس، ولن يكون في قوة القياس على القدمين للإجماع على أن سيقان المرأة عورة في داخل

الصلاة وخارجها؛ فالمرأة لو أظهرت سيقانها في الصلاة، بطلت صلاتها باتفاق، بينما لو أظهرت قدميها فيها، فهناك من أهل العلم من قال بعدم بطلان صلاتها؛ كالحنفية، واختاره ابن تيمية. (انظر اختلاف الأئمة لابن هبيرة ١/١٠١، مجموع الفتاوى ٢٢/١١٥).

ولا شك أن إظهار الساقين أشد فتنة من إظهار القدمين، فلو قاس القائس على الساقين، ويقول: إن المرأة مأمورة بتغطية ساقيها، والأولى تغطية وجهها لضعف القياس.

٦- عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنَّ المرأة عورة، فإذا خرجت استشرفها الشيطانُ، وأقربُ ما تكونُ من وجه ربها وهي في قعر بيتها" (رواه ابن خزيمة، وأشار أنه صحيح).

القرائن حول الحديث:

أ- قرينة لفظية: المرأة عورة، هل هي ذات عورة أم أن كلها عورة؟

يقول ابن رشد: فأكثر العلماء على أن بدنها كله عورة ما خلا الوجه والكفين. ويقول المناوي: المرأة عورة: أي هي موصوفة بهذه الصفة، ومن هذه صفته فحقه أن يُستر، والمعنى أنه يستقبح تبرزها وظهورها للرجل (انظر بداية المجتهد ١/١٢٣، مرقاة المفاتيح ٥/٢٠٥٤، فيض القدير ٦/٢٦٦، سبل السلام ٤/٢٨٣، الآداب الشرعية ١/٢٨٠).

ب- العموم، فالمرأة عورة، والوجه بعض من كل، فدلَّ على أنه عورة ويجب تغطيته. التخصيص: وهو يدخل على العموم بدليل، فتكون المرأة عورة إلا ما استثناه المشرع، وهما الوجه والكفان (عند من ذهب إلى ذلك من أهل العلم) بقرينة قوله تعالى: (وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا) (النور: ٣١)، ومما تكلم فيه الأصوليون خروج بعض أفراد العام من العموم بدليل آخر (والمسألة فيها بحث أصولي واسع ارجع إليه لو أحببت في كتابي قرائن السياق وأثرها على الأحكام الفقهية).

ج- الخلاف: لا يوجد إجماع بين أهل العلم على أن كل المرأة عورة، فقد ذهب بعض أهل العلم إلى أن قدمي المرأة ليستا من العورات حتى في داخل الصلاة.

٧- عن أم سلمة رضي الله عنها، قالت: قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا كان لاحداكن مكاتب، فكان عنده ما يؤدي فلتحتجب منه (سنن الترمذي وغيره، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، ومعنى هذا الحديث عند أهل العلم على التورع، وقالوا: لا يعتق المكاتب وان كان عنده ما يؤدي حتى يؤدي، وأخرجه الحاكم وقال: صحيح الإسناد. ووافقه الذهبي ح٢٨٦٧).

وقد استدل بالحديث من أخذ بتحسين الترمذي والحاكم والذهبي على أنه يقتضي أن كشف السيدة وجهها لعبدها جائز ما دام في ملكها، فإذا خرج منه -أي: من ملكها- وجب عليها الاحتجاب؛ لأنه صار أجنبيًا، فدل على وجوب احتجاب المرأة عن الرجل الأجنبي (انظر: ثلاث رسائل في الحجاب لابن عثيمين ص ٣٤).

القرائن حول الحديث:

أ. الخلاف في الحكم على الحديث: لأن مداره على نبهان مولى أم سلمة رضي الله عنها، فهو مجهول لم يوثقه إلا ابن حبان، لذا ضعَّف الحديث جمعٌ من أهل العلم وصححه أو حسنه بعضهم.

ب. تخصيص أمهات المؤمنين ببعض الأحكام: يقول الشافعي: وقد يجوز أن يكون أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أم سلمة إن كان أمرها بالحجاب من مكاتبها إذا كان عنده ما يؤدي على ما عظم الله به أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم أمهات المؤمنين رحمهن الله، وخصصهن به وفرَّق بينهن وبين النساء إن اتقين، ثم تلا الآيات في اختصاصهن بأن جعل عليهن الحجاب من المؤمنين، وهن أمهات المؤمنين، ولم يجعل على امرأة سواهن أن تحتجب ممن يحرم عليه نكاحها وكان في قوله صلى الله عليه وسلم: إن كان قاله (إشارة إلى ضعف سند الحديث) إذا كان لاحداكن يعني أزواجه خاصة (انظر السنن الكبرى للبيهقي ١٠/٥٤٩-٥٥٠).

قلت: والراجح أن الحديث ضعيف، فلا يؤخذ منه حكمٌ، والاستدلال منه -لمن قال بتحسينه- على وجوب النقاب لغير أمهات المؤمنين، هو فرعٌ من الكلام عن الأدلة من القرآن والسنة التي خصَّت أمهات المؤمنين ببعض الأحكام.

وللحديث بقية، والحمد لله رب العالمين.

سبيلُ الْحَيَاة وسَفِينَةُ النَّجَاة (٢)

عملُ السُّعاة في طَلَبِ الفَوْز والنَّجاة

إعداد د . عماد عيسى
المفتش بوزارة الأوقاف

الْحمد لله على سابغ فَضله وجَزيلِ صُنْعِه، حَمْدًا يُوجب رِضَاهُ، ويستَدْعِي مَزِيدَه، وَصلَّى الله على نبيِّنا محمد وعلى آله وصَحْبه أجْمَعِين.

وبعد: فإنَّ النَّجاةَ من عقابِ الله تعالى فوزٌ عظيمٌ وفضلٌ مبين، من ظفر به فقد ظفرَ بالْخَير كلِّه، ومن فاتَهُ فقدْ خَسر الْخُسْران الْمبِين، قال تعالى: «فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ» (آل عمران:١٨٥).

لكنها تحتاج إلى نفس أبيَّة صبورةٍ، وعزمٍ مقْدام، وعقْلٍ درَّاك، وهمَّة طمَّاحة إلى العلياء وبُلوغ السماء؛ لأنَّ النَّفس ميَّالةٌ إلى الكسل ومحبة للراحة، فإذا دب إليها شيء من الملل كدبيب الصهباء في الأعضاء وسرَى إليها سَرَيان الكَرَى في أهْدَاب الْجُفُون قعدتْ وتقاعستْ وأخلدتْ إلى الأرض.

والشَّيطان لعنَهُ الله يتلوَن تلوُّن الحِرباء، ويتزيّا بسائر الأزْيَاء حتَى يستحوذَ على ابنِ آدم، وكلٌّ له طريقة عنده، فالعالم والجاهل، والعابد والزاهد، والمطيع والعاصي، لكل منهم سهم مصيب، وقَسْم من الوساوس والمكْر ونصيب.

فهو يرمي كلَ امرئٍ بسهُم كي يوهنَ به عضُدَه، وتخورَ به قُواه.

والشيطانُ لئيم الكيْد دنيءُ الحيلة شديدُ المكر، ولن يسبق إلى ذلك ولن يلحق فيه، لأن هذا عمله الذي أقسم عليه قائلًا: " قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ " (ص:٨٢-٨٣).

ومع ذلك فإن كيده هذا مع أهل الإيمان ضعيف إلى جنب إيمانهم واستعانتهم بالله.

قال تعالى: " إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ " (الحجر:٤٢).

وقال سبحانه: " إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا " (الإسراء:٦٥).

وقال جل وعلا: " إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ " (النحل:٩٩- ١٠٠).

وقال تعالى: " وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ " (سبأ: ٢٠-٢١).

وقد اعترف الشيطان كما حكى الله عنه في قوله: " وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ " (إبراهيم:٢٢).

> **" كيد الشيطان مع أهل الإيمان ضعيف إلى جنب إيمانهم واستعانتهم بالله. "**

فاستعنْ بالله على الشَّيطان يكفكَ كيْدَه، واستعنْ بالله على ما يُرضيه فإنه إنْ أرادك هيّأك له، والبسْ درْع الحذر، ولباسَ الحيْطة، وثيابَ اليقظة، فإنَه لن يستطيعَ أنْ يغويك ما دمت على ذلك.

إنَ السَعْي في طلب النَجاة لا تسمو إليه إلا النُفوس الشريفة، ولا ترغب عنه إلا القلوب المريضة والعقول السخيفة.

والواجب على الذين يحرصون على النجاة أن يطلبوها من أهلها، ويسلكوا لها مسالكها، ولا يعْدلُوا عن طُرُقها، فإنَ ذلك يُعْقبهم عظيمَ الأجر وجزيلَ الشُكر، ورفعةَ الدَرجة، وحُسْن الذْكر.

كما ينبغي أن يتدرَجوا في مدارِجها وأن يتتَبَعوا خُطاها وأوَل خُطواتَ السَعي في طلب النجاة هو الحرص عليها والتَمَسّك بها.

قال أبو ذؤيب:

والنفسُ راغبةٌ إذا رغَّبْتها
وإذا تُرَدُّ إلى قليلٍ تقْنعُ.

قال الأصمعي حُجَة العَرَب: "هذَا أبْدعُ بيْتٍ قالتْه العَرب".

الحرص على النجاة:

قال النبي صلى الله عليه وسلم: "احْرِصْ على ما ينفَعُك واستَعن بالله ولا تعْجز" رواه مسلم.

هذا اللهف بطلب النجاة أوَل الخَطو على دَرْب النَجاة أنَ المُؤْمن الذي يطلبُ النَجاة، لا بدَّ أن يفْزع إلى طلبِ النَّصير والتَماس المُجير، ويسعى لتحصيل النجاة بكل السُّبُل، وأن يكون في ذلك راغبًا وله طالبًا.

ولا يؤهَل المرء للنجاة حتى يجدَّ في طلَبها ويدفع الثَّمن نقدًا، ويصدُق في ذلك وعدًا: " وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُمِدُّ هَٰؤُلَاءِ وَهَٰؤُلَاءِ " (الإسراء: ١٩-٢٠).

> إن الحرص على النجاة والجد في طلبها لا يتخيله المرء في نفسه، ولا يتمثَّله في قلبه إلا ويتجدَّد نشاطه، ويزداد على الطاعة إقباله.

ومعنى الحرص على النجاة أن يأخذ المرء بأسبابها، ويحقق مظانها، ويجتنب معوقاتها وموبقاتها.

ولا يُكتبُ التوفيق إلى النجاة إلا لمن عنده إرادةٌ خالصة كالتبر المصفى الخالص من الشوائب، حتى لو عاقه في طريق طلبها عائق، أو عطله معوق أو مائق فإنه برغبته الأكيدة فيها وحرصه الشديد عليها سيوفق لها، ويُعان عليها، ويهتدي إلى سواء السبيل.

وهذا الحرص هو البداية التي تعقبها الإجابة كما في قوله تعالى: "ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ"، وقوله تعالى: "فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ" فالبداءةُ من العبد والإجابة من الرَّب.

إن الحرص على النجاة والجد في طلبها لا يتخيله المرء في نفسه، ولا يتمثَّله في قلبه إلا ويتجدَّد نشاطه، ويزداد على الطاعة إقباله، فيتحرك في مرضاة الله منه الساكن، وينبعث منه الكامن، بل إنه يحنُّ إلى معاملة الله والتجارة معه، كما تحنُّ المرأة إلى وليدها الذي أضلَّته ثم وجدته على غرة وفجأة.

فحاولْ أن تعيش هذا المعنى، وأن تشعر نفسك بأنها خُلقت من أجله وساعية إليه، وحين ذلك سترى الفتوح من الله تعالى عليك تترا، والمدائح تساق إليك شعرًا ونثرًا.

حاولْ جسيماتِ الأمورِ ولا تقُلْ
إنّ المحامدَ والعُلا أرزاقُ
وارغبْ بنفسك أن تكونَ مقصِّرًا
عن غايةٍ فيها الطلاب سباقُ

ضرورة مطالعة سير الصالحين:

من طالع تراجم المجدين وقرأ كتب الطبقات وجد عجائب من أحوال السلف الماضين، فالقوم كانوا على أشد ما يكونون في الاجتهاد، وفي الاهتمام بجمع الزاد والاستعداد ليوم المعاد، ففي الصلاة كانوا أطول الناس صلاة، وفي الإنفاق والجود كانوا أسرعَ من الريح المرسلة اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي الجهاد كانوا أشجع الناس وكان الموت في سبيل الله أحبَّ إليهم من الحياة، وفي غير ذلك من أبواب القربات كانوا من الآيات العجيبة، فلا تملَّ من مطالعة أحوال القوم، فوالله إنّ النظر في أحوالهم شفاءٌ من كل داء، وراحةٌ من كل تعب وعناء.

وفي أمثالهم يصدق قول ابن الجوزي رحمه الله:

ما زلتُ أُدرك ما عَلا بل ما غَلا
وأكابدُ النَّهج العَسير الأطولا
تَجْري بي الآمال في جَنَباته
جَرْيَ السَّعيد إلى مدى ما أمَّلا
أُفضي من التوفيق فيه إلى الذي
أعيا سواي توصُّلًا وتغلغلا

خطورة عدم الحرص على النجاة:

من فقد الاهتمام بطلب النجاة تغيَّر به الحال، وساء منه المآل، واشتدت عليه وطأة الغفلة، واستفحل خطرُ البُعد عن مولاه، وعلقت به الأدواء القلبية والأمراض الروحيَّة حتى يسوء حاله، وتفسد خلاله، وينطفئ ما أودع الله تعالى فيه من الخير والنور.

وما رُمي دينُ المرء بسهم أوهن لعضده، وأدمى لكبده من سهم إيثار ترك النجاة بنفسه والرغبة عنها، لأنه بذلك يترك للنفس الحبل على الغارب، فيضطرب إيمانه ويتزلزل اعتقاده، وربما ينكب على وجهه.

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وقفات مع مفهوم التراث الإسلامي وأهميته

إعداد **د. عبد الوارث عثمان**
أستاذ الفقه المقارن جامعة الأزهر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فإن من أهم وسائل نهوض الأمة الإسلامية في حاضرها هو رصيدها الزاخر من تراثها الإسلامي المجيد، ولكن كل ما تمتلكه اليوم من هذا الرصيد يقظة مبصرة، ولكنها مبددة الأهداف، حائرة التفكير يؤرقها الواقع الذي أضحت فيه أحكام الإسلام عند كثير من المنتمين إليه غريبة بعد أن انخدعوا بسراب الحياة الصاخبة من أفق الغرب "المتحلل" وموجات الإلحاد بظلامها المادي الكئيب وأشباحه البشعة المخيفة يهددان الأمة في بقائها وضياع شبابها، لذلك فإنها تتطلع إلى شمس الهداية في ماضيها المشرق الزخار بآيات المجد والسؤدد الغني بمثل الإصلاح والتفوق ونماذج الأخلاق الحميدة والمبادئ النبيلة المستمدة من وحي السماء.

وهذا يظهر حقيقة الهجمة الشرسة على تراثنا العلمي والتاريخي؛ فهي هجمة خبيثة ماكرة على أمة الإسلام؛ تهدف إلى بتر ماضيها من جذوره؛ لتكون عاجزة في مستقبلها غير قادرة على النهوض في حاضرها تحيى فيما تبقى من عمرها ناقصة غير مكتملة.

والتراث كلمة واسعة الدلالة، وهي من حيث اللغة العربية فصيحة، وكلمة التراث أصل التاء فيها حرف الواو، وهي تعني ما يتركه الإنسان لورثته الذين يخلفهم من بعده... وجاء في كتاب الله: (وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا) (الفجر ١٩).

وعلى ما سبق، فللتراث دلالته الواسعة، التي تقع على كافة ما تركه لنا السابقون من: كتاب الله تعالى، وكل ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم من سنن قولية أو فعلية أو تقريرية وصفاته صلى الله عليه وسلم الخَلقية والخُلقية، ثم أفعال وأقوال الصحابة رضي الله عنهم، وهي معتبرة لكونهم الأقرب إلى زمن الرسالة وعايشوها ونصروها وطبقوها بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن بعده تمسكوا بسنته صلى الله عليه وسلم وعضوا عليها بالنواجذ فهم الأكثر فهمًا والأشد حرصًا عليها، وكذلك كل تابعي روى عنهم وأخذ منهم واقتفى أثرهم وتابعي تابعيهم من سلفنا الصالح الذين هم أحق بالاتباع.

فلا شك أن التراث الإسلامي أمره مهم والعناية به واجبة. غير أن الكلمة صارت تُستخدم اليوم للإشارة إلى الموروث الفكري الذي تراكم بفعل جهود الأجيال السابقة عبر قرون الحضارة الإسلامية، التي هي واحدة من أطول الحضارات عمرًا في تاريخ الإنسانية من حيث تواصلها - بلا انقطاع- خلال قرون طويلة من الزمن.

ومن هنا، توالت حلقات تاريخنا الثقافي والعامة لزمن طويل؛ حتى جاءت الحملة الفرنسية ومن بعدها احتلال الأوروبيين لأرجاء العالم العربي والإسلامي، فكانت عملية الانقطاع عن التواصل- على مستوى والوعي العام- بحيث صارت فئة من أجيالنا الحالية- بفعل عمليات التغريب الدائمة- تنظر إلى الآثار الباقية عن الأجيال الخالية، باعتبارها أمرًا مستقلاً عنا يكاد يبدو وكأنه يخص غيرنا.

لقد أحدثت الحملة الفرنسية أكذوبة" الحداثة" حينما كشفت أوروبا، بعد الحملات الصليبية بزمن طويل، عن أنيابها التي كان أهلونا قد نسوها مع الزمن.. لكن الحملة الفرنسية لم تقم أبدًا بعملية نقل الحداثة أو تغيير وجه الثقافة كما يزعم الزاعمون، ويتوهم الواهمون. وإنما وضعوا نهجًا ماكرًا خبيثًا لا يفرقون فيه بين تراث مقدس لا يمكن الاقتراب منه أو الخوض فيه ككتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فإنكارهما أو الخوض فيهما بالباطل من الكفر البواح وبين شتى أنواع التراث الأخرى من عمارة وآثار دنيوية، وإنما يتحدثون عن تجديد التراث بإطلاق؛ بقصد الخلط والتضليل، فيوقعون العوام في ريبة من أمر دينهم وشريعة نبيهم صلى الله عليه وسلم، وهؤلاء يعمدون إلى تشويه التراث الإسلامي وتزييف حقائق الإسلام وتاريخه ورجاله وعلومه الشرعية التي تفردت بها الأمة الإسلامية.

ومهمة إحياء التراث الإسلامي هي مهمة جوهرية وضرورية ضرورة وجوبية لا يمكن لعلماء الإسلام التخلي عنها في مواجهة أحلاس الفتنة وهواة المغامرة وحب الانتشار والظهور؛ حتى تعي أمة الإسلام بذاتها وتنهض من كبوتها وسباتها العميق فالأمة الآن في أمس الحاجة إلى معرفة تراثها وقيمها التي رسخت معنى الوحدة بين أمة الإسلام.

والتراث الإسلامي يمثل قضية نقل "الخبرة"، وهي قواعد الاستفادة بالتجربة المسجلة في كتب التراث، وتعلم المناهج في الوصول إلى الأحكام الفقهية وتحصيل أصول العلوم الشرعية وتاريخها ليحسن البناء عليها في وقتنا الحاضر بعيدًا عن شطط الفكر وجموح العقل وميل الأقلام عن مهيع الحق وشرعة الصدق، وتكون أقرب للقبول عند رب العالمين.

ومناقشة قضية التراث تحتاج إلى تأمل مسؤول واطالة نظر، بمعنى أن التعامل مع كتب التراث لا يكون تعاملاً مع نصوص مجردة، بل يجب ربط الناس التراث بصاحبه وواقعه وهدفه.

وبذلك يؤخذ التراث بمنطق الحكمة بكل عناصرها ومعانيها ومعطياتها ويضع قارئ التراث نصب عينيه العناصر الأربعة التالية ليستفيد من مطالعة كتب التراث التي هي عنصر من عناصر تكوين العقل المسلم وبناء شخصيته أولاً، والنص ثانيًا، وصاحب النص ثالثًا، وواقع النص رابعًا، والهدف من النص.

وهي أمور لا بد منها لتحقيق مهمة إحياء التراث وينبع من طبيعة وحقيقة التصور الصحيح لوظيفة ذلك الإحياء..

> "كتب التراث التي هي عنصر من عناصر تكوين العقل المسلم وبناء شخصيته أولاً، والنص ثانيًا، وصاحب النص ثالثًا، وواقع النص رابعًا، والهدف من النص."

أما اقتصار الإحياء على الوظيفة اللغوية أو حتى التاريخية أو لمجرد أنها تراث لعالم معتبر؛ فإنه يجعل الإحياء قاصرًا وعاجزًا عن التأثير في الواقع المعاصر، ويؤدي إلى وجود اضطراب سلوكي عند تطبيقه وتنفيذه والاهتداء به في عمل تعبدي أو تفسير نص قرآني أو شرح حديث نبوي لذلك كان من الضروري معرفة هذه العناصر.

والحكمة واطالة النظر، وتوسيع المدارك وعمق الفهم عند قراءة كتب التراث يحقق مهمة إحياء التراث إحياءً كاملاً. وهو الإحياء بالحكمة أو الارتفاع بالإحياء إلى مستوى الوظيفة العلمية القادرة على التحليل اللفظي لنصوص التراث لادراك المعاني الكامنة في الألفاظ، والتمييز بين الحقائق الثابتة الدائمة عن الأخرى المؤقتة، وهذا التمييز لا يتحقق إلا إذا ألغى القارئ عنصر الزمان؛ إذ يسعى لإدراك التراث في إطار أكثر اتساعًا؛ حيث يصير النص التقاء بين ماض وحاضر ومستقبل.

والأخذ بما ذكرنا ينطبق على كتب التراث الإسلامي الذي هو ميراث أسلافنا الأبرار وهو تفسير وشرح للقرآن الكريم وسنة النبي صلى الله عليه وسلم.

وهو اجتهادات فقهية بأدلة شرعية، وهو تاريخ الأمة ووقائعها وتجاربها العلمية... أن التراث الإسلامي هو تاريخ الإسلام وعلومه وهو دافعنا نحو النهوض من كبوتنا والتخلص من براثن الظلم العالمي الذي يكيل بمكيالين بغية تشويه رسالة الإسلام الخالدة واعاقتها عن الازدهار والانتشار

إن المتخرصين بالباطل على رسالة الإسلام الخالدة وتراثها الزاخر يخرجون في كل جيل من عمر أمة الإسلام يمسكون بمعاول الهدم والبتر والتجزئة والتحريف والتبديل لا يألون جهدًا يعطل حركتها ويبدد طاقتها ويضعف قوتها إلا بذلوه بحرفية متقنة يحققون أغراضهم الدنيئة بعض الوقت، ويسقطون سقوطًا مدويًا غير مأسوف عليه في جل الوقت لأسباب كثيرة؛ نذكر منها: أولاً: إن المبادئ التي يدعيها الغرب

من العدالة الاجتماعية والحرية والإخاء الإنساني وقيم السلام هي مستحدثة في أنظمتهم الحديثة، ولكنها في رسالة الإسلام الخالدة متأصلة تدعمها نصوص القرآن الكريم وأقوال النبي صلى الله عليه وسلم وممارسات الأمة الإسلامية عبر تاريخها الطويل وفي تراثها الأصيل فالأمة الإسلامية هي القادرة على تكوين نظريات سياسية واقتصادية واجتماعية صحيحة.

ثانيًا: انبراء علماء الشريعة الإسلامية للرد على الشبهات التي أثارها أصحاب الآراء المتهافتة والتخرصات الباطلة والأضاليل المقوتة.. فينفون عن الدين تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين: فقد روى جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رضي الله عنهم قول النبي صلى الله عليه وسلم: "يحمل هذا العلم من كل خلف عُدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين" (العواصم من القواصم ١/٣٠٨ وذكر العلامة ابن القيم طرقه في مفتاح دار السعادة ص ١٦٤/١٦٣).

والمقصود من هذا الحديث أن علم كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم يحمله من كل قرن عدوله وثقاته، وهم أصحاب التقوى والديانة نافين عنه تحريف الغالين الذين هم عرضة لمساقط الهوى ودروب الضلال فينحرفون عن جهته... وانتحال المبطلين أي أصحاب التخرصات الباطلة والتقولات الفاسدة والادعاءات الكاذبة. وتأويل الجاهلين؛ أي تأويل الجهلة لبعض القرآن الكريم والسنة النبوية إلى ما ليس بصواب. وبهؤلاء العدول من علماء الإسلام في كل عصر من عصوره حفظ الله تعالى دينه وشريعته، وهذا تصريح بعدالة حاملي العلوم الشرعية في كل عصر. وهكذا وقع ولله الحمد وهذا من أعلام النبوة.

ثالثا: العامة وهي العنصر الأساسي من عناصر الأمة حيث إن عناصر الأمة في المفهوم الإسلامي هي: (١) الحكم (٢) الملأ (٣) العامة.. وهذا العنصر هو المحقق لمعنى الأمة المرتبط بخصائصها القدرية، وهذه الخصائص هي: أولاً: العصمة، ثانيًا: الرحمة، ثالثًا النصر.

وهذه الخصائص مرهونة بالأمة بمعنى السواد الأعظم باعتبارها العنصر الأساسي من عناصر الأمة، وكذلك الضمان الأخير لتحقيق معنى الجماعة في مجموع النصوص الشرعية الواردة بأربعة معايير هي: الجماعة بمعنى الحق، والجماعة بمعنى الحاكم. والجماعة بمعنى العامة، والجماعة بمعنى العلماء.

ومن الضروري أن نضع في الحسبان وجوبًا شرعيًا وجوهريًا أن العامة المقصودة هي التي تعي معنى الانتماء الحقيقي للإسلام لا أولئك الذين ينتمون للإسلام جبرًا بحكم الجغرافيا، أو لأنهم ولدوا لأبويين مسلمين ولا يعرفون عن الإسلام إلا صورة مطموسة المعالم، وكذلك الذين تحركهم عوامل الحسد والأحاسيس الحقيرة التي تسعى بصاحبها إلى التفكير في هدم مصادر السنة النبوية التي لها في النفس اتباع كلمة التوحيد مكانة عالية جليلة، وبلغت من الثقة والقبول ما لا يدع مجالا للشك في عدالة جامعيها وصدقهم؛ فتلقت الأمة كتبهم بالقبول.. ويلحق بهم الهمج الرعاع أتباع كل ناعق ممن يخوضون بالباطل في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم الرحمة المهداة والنعمة المسداة..

إن الإسلام باقٍ وشريعته محفوظة، وأمته منصورة مرحومة، أما الذين يتخرصون عليه بتقولاتهم الضالة الماكرة ويطعنون في تراثه وتاريخه وأحكامه؛ فإن مصيرهم وما يجمعون من الباطل إلى أودية الضلال ومسارب الأباطيل وسيظل الإسلام شامخا.. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

أخبار العالم الإسلامي

مسلمو مدينة أرتيموفسك الأوكرانية يترقبون افتتاح مسجدهم الجديد

أعلنت الإدارة الدينية لمسلمي أوكرانيا عن قُرب الانتهاء من بناء المسجد الجديد في مدينة "أرتيموفسك" الواقعة بمنطقة "دونيتسك" جنوب شرق أوكرانيا، وذلك بالتعاون مع عدد من المتبرعين من الجالية الإسلامية في أوكرانيا، وكانت الجالية الإسلامية في مدينة "أرتيموفسك" دائمًا في احتياج إلى مسجد يصلون فيه، إلى أن قامت إحدى العائلات المسلمة في المدينة بتخصيص منزلهم الخاص ليكون مكانا للصلاة، وبعد ذلك تمكنت الإدارة الدينية لمسلمي أوكرانيا والجالية الإسلامية بالتعاون مع العائلة المسلمة التي تملك المنزل - من شراء المنزل، والتخطيط لإعادة بنائه؛ ليكون مسجدًا يلبي احتياجات مسلمي المدينة من الصلاة والدروس الشرعية، والمناسبات الإسلامية وغيرها.

مبادرة خيرية إسلامية لدعم المحتاجين في ولاية كارولاينا الشمالية

تسبَّبت جائحة فيروس كورونا في معاناة دول كثيرة خلال الأشهر الماضية على الصعيد الصحي والاقتصادي والمجتمعي، وغيرها من الأصعدة؛ مما دعا العديد من المؤسسات والجمعيات الإسلامية والخيرية إلى الوقوف بجانب مجتمعها للخروج من هذه الأزم، وبدورها أعلنت منظمة الإغاثة الإسلامية لدائرة أمريكا الشمالية (ICNA Relief) - عن فتح مخازن الطعام الخاص بها في مبادرة خيرية لتوزيعها على المحتاجين والعاطلين عن العمل بولاية "كارولاينا الشمالية"، وتتعاون مؤسسة منظمة الإغاثة الإسلامية لدائرة أمريكا الشمالية في هذه المبادرة مع مسجد عباد الرحمن الواقع بولاية كارولاينا الشمالية، وذلك للمساعدة في إطعام الجيران المحتاجين، ومن المقرر أن يستمر التواصل بينهما في عدد من الأنشطة والفعاليات الخيرية القادمة.

استمرار المشاريع الدعوية لمسلمي جامبيا والنيجر

تستكمل "مؤسسة رسالة التنمية" مشروعاتها الخيرية والدعوية في دولة "جامبيا" غرب إفريقيا، بالتعاون مع "مركز الإمام البخاري للدراسات الإسلامية"، وذلك لمساعدة المسلمين بالقرى التي تحتاج إلى دعم ومساندة، وقد أعلنت مؤسسة رسالة التنمية عن أحدث مشاريعها بقرية "talokoto" بدولة جامبيا، المتمثل في حفر بئر ارتوازية لسكان القرية التي تحتوي على عدد كبير من المسلمين وغيرهم، أوضح دعاة مؤسسة رسالة التنمية ومركز الإمام البخاري أن القرية ليس بها إلا بئر واحدة ومياهها غير صالحة للشرب، وأقرب بئر بها مياه صالحة للاستعمال تبعد حوالي كيلو ونصف، والوصول إليها شاق جدًا، لذلك رأت المؤسسة مساعدة سكان القرية وحفر بئر لهم.

ومن دولة النيجر أعلنت مؤسسة رسالة التنمية عن حفر بئر ارتوازية جديدة بقرية "قوروبوسا" الواقعة بمنطقة "ولام"؛ استمرارًا للتعاون المشترك بين مؤسسة رسالة التنمية وجمعية أمل الخيرية بالنيجر في بناء المساجد وحفر الآبار، وغيرها من المشاريع الدعوية، يُذكر أن "مؤسسة رسالة التنمية" تهدف إلى الدعوة إلى الله في ربوع القارَّة الافريقية، كما تقوم المؤسسة ببناء المساجد والآبار، وغير ذلك من الأنشطة لتثبيت المسلمين ومساعدتهم.

إعداد / محمد محمود فتحي

تبرع قياسي من الجالية الإسلامية بكندا لصالح مستشفى بمدينة ميسيسوجا

أعلنت الجالية الإسلامية في كندا عن تبرعها بمبلغ قياسي قيمته ٥ ملايين دولار؛ لصالح دعم تطوير مستشفى محليٍّ في مدينة "ميسيسوجا"، الواقعة في مقاطعة "أونتاريو" في كندا.

وبهذا يكون تبرعُ الجالية الإسلامية لصالح دعم إعادة تطوير وتوسيع مستشفى "Trillium Health Partners" - أكبر تبرع إسلامي في التاريخ الكندي، للمستشفى الذي يخدم مدينة "ميسيسوجا"، ومقاطعة "أونتاريو"، وغرب مدينة "تورنتو"، وبصفته رئيس وزراء مقاطعة "أونتاريو" وجَّه "Doug Ford" الشكر للمسؤولين عن الجالية الإسلامية الكندية والمجتمع الإسلامي على هذا التبرع الكبير، الذي أظهر معدنَ المسلمين ووقوفهم بجانب المجتمع الكندي، والمرضى على وجه الخصوص، وبدورها وجهت "Bonnie Crombie" عمدة مدينة "ميسيسوجا" الشكر للجالية الإسلامية والمسلمين على كرمهم الكبير، مشيدةً باهتمام المسلمين بمصالح المدينة، ومن الجدير بالذكر أن "Trillium Health Partners" هو مستشفى رائد له سجل حافل في جودة رعاية المرضى، ويقدم مجموعة من البرامج المجتمعية المتخصصة.

ووفقًا لوكالة الإحصاء الكندية، فإن المجتمع الإسلامي يعد الأسرع نموًا في كندا؛ حيث زاد عدد السكان المسلمين في كندا بنسبة ٨٢٪ خلال العقد الماضي، بواقع حوالي ٥٧٩٠٠٠ مسلم في عام ٢٠٠١ إلى أكثر من مليون مسلم في عام ٢٠١١، ويمثل المسلمون حوالي ٢,٣٪ من إجمالي سكان كندا.

تدشين حملة لترميم المساجد في دولة رواندا

انطلاقًا من قول الله تعالى: «إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ» (التوبة: ١٨)، دشنت مؤسسة رسالة التنمية حملة لترميم المساجد في دولة "رواندا" الافريقية، وأوضح "الشيخ عادل الشعراوي" رئيس مجلس إدارة مؤسسة رسالة التنمية والمشرف العام على الحملة - أن الإسلام رغَّب في عمارة وصيانة المساجد لما لها من فضل وأجر عظيم، ورغب في بنائها واعمارها.

وتواجه الأقلية المسلمة في رواندا أزمة كبيرة في توفير الدعم اللازم لترميم المساجد لاستضافة المصلين، وذلك بسبب قلة عدد المسلمين في رواندا، وارتفاع نسبة الفقر بينهم، مما يجعل ترميم المساجد أمرًا صعبًا بسبب قلة الامكانيات والأموال.

ونظرًا لما يواجهه مسلمو رواندا من صعوبات في شراء أرض لبناء المساجد، لعدم توفرها بشكل كبير من ناحية، وارتفاع الأسعار من ناحية أخرى، كذلك صعوبة الموافقات والتراخيص، لذلك قررت مؤسسة رسالة التنمية تدشين حملة لترميم المساجد في رواندا بعد دراسة الموقف على أرض الواقع وتنفيذ عدد من التجارب، وايمانًا بأهمية بيوت الله، وبناءً على المكانة العظيمة للصلاة عند كل مسلم، تحرص مؤسسة رسالة التنمية على عمارة المساجد وترميمها وخدمتها، ويوجد في رواندا حوالي ٣٧ مسجدًا مغلقًا لعدم توفر إمكانيات لترميمهم أو تجهيزهم لاعادة استضافة عباد الرحمن من جديد، ويذكر أن مسلمي رواندا يبلغون حوالي ٤،٦٪ من التعداد السكاني العام الذي يقدَّر بحوالي ١٢،٣ مليون نسمة، بينما تبلغ مساحة رواندا ٢٦،٣٣٨ كم وعاصمتها مدينة "كيجالي

اليُسْر في الزواج

إعداد **د. جمال عبد الرحمن**

الحمد لله الذي جعلنا من الأمة الوسط التي بعثها الله تعالى مُيسِّرة ولم يبعثها مُعَسِّرة، والصلاة والسلام على نبينا محمد هادينا بإذن ربه وشفيعنا في الآخرة.

وبعد: فإن شرع الله تعالى في الزواج أقرب إلى السهولة واليسر، وبركة الله تعالى جعلت لمن كان أمره سهلاً، وطريقته وسطًا، ومؤونته يسرًا. فالله تعالى يريد بعباده اليسر ولا يريد بهم العسر. ومن الأمور التي يُنْدَب فيها بقوة إلى التيسير : الزواج؛ لأن التعسير والتشدد فيه يقف أمام الإحصان والعفة؛ سدًا مانعًا وحَجَر عثرة، وطوبى لمن كان هيِّنًا لينًا، قريبًا سهلاً.

البساطة في الزواج

زواج النبي صلى الله عليه وسلم بعائشة رضي الله عنها

لقد كان لنا في رسول الله أسوة حسنة في تيسير الزواج وصولاً إلى الإحصان والعفة.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: تزوجني النبي صلى الله عليه وسلم لستّ سنين، فلما قدمت المدينة نزلنا السُّنْح في بني الحارث بن الخزرج، قالت: فإني لأرجح (تتأرجح على أرجوحة) بين عذقين وأنا ابنة تسع؛ إذ جاءت أمي فأنزلتني ثم مشت بي حتى انتهت بي إلى الباب وأنا أنهج، فمسحت وجهي بشيء من ماء وفَرَقت جميمة (تسريح الشعر) كانت لي، ودخلتْ بي على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي البيت رجال ونساء، فقالت: "هؤلاء أهلك فبارك الله لك فيهم، وبارك لهم فيك، وقام الرجال والنساء وخرجوا وبنى بي رسول الله صلى الله عليه وسلم". (سنن أبي داود وصححه الألباني).

وفي رواية مسلم: فإذا نسوة من الأنصار، فقلن: "على الخير والبركة على خير طائر، فأسلمتني إليهن فغسلن رأسي وأصلحنني، فلم يَرُعْني إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلمنني إليه".

وقولها: جُمَيْمة بالجيم مصغر: الجُمَّة بالضم وهي مجتمع شعر الناصية، ويقال للشعر إذا سقط على المنكبين جُمَّة وإذا كان إلى شحمة الأذنين وَفْرة.

وقولها في أرجوحة بضم أوله معروفة وهي التي تُلعب، وقولها: أنهج أي أتنفس تنفسًا عاليًا، وقولهن: على خير طائر أي على خير حظ ونصيب. وقولها: فلم يرُعني أي لم يفزعني شيء إلا دخوله

علي وكنت بذلك عن المفاجأة بالدخول، فإنها تُفزع غالبًا. (فتح الباري ٧/ ٢٢٤).

قصة خطبة عائشة رضي الله عنها

عن أبي سلمة ويحيى قالا: لما هلكت خديجة جاءت خولة بنت حكيم امرأة عثمان بن مظعون قالت: يا رسول الله ألا تزوج؟ قال: «مَنْ»؟ قالت: إن شئت بكرًا وان شئت ثيبًا. قال: «فمن البكر»؟ قالت: ابنة أحبَ خلق الله عز وجل إليك: عائشة بنت أبي بكر. قال: «ومن الثيب»؟ قالت: سودة ابنة زمعة: آمنت بك واتبعتك على ما تقول. قال: «فاذهبي فاذكريهما عليّ». فدخلت بيت أبي بكر فقالت: يا أم رومان ماذا أدخل الله عز وجل عليكم من الخير البركة؟ قالت: وما ذاك؟ قالت: أرسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم أخطب عليه عائشة. قالت: انتظري أبا بكر حتى يأتي، فجاء أبو بكر فقالت: يا أبا بكر ماذا أدخل الله عليكم من الخير والبركة؟ قال: وما ذاك؟ قالت: أرسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم أخطب عليه عائشة. قال: وهل تصلح له؟ إنما هي ابنة أخيه، فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت له ذلك، قال: «ارجعي إليه فقولي له: أنا أخوك وأنت أخي في الإسلام، وابنتك تصلح لي» فرجعت فذكرت ذلك له، قال: انتظري وخرج.

قالت أم رومان: إن مطعم بن عدي قد كان ذكرها على ابنه، فوالله ما وعد وعدًا قط فأخلفه لأبي بكر. فدخل أبو بكر على مطعم بن عدي عنده امرأته أم الفتى فقالت: يا ابن أبي قحافة، لعلك مُصب صاحبنا مُدخله في دينك الذي أنت عليه أن تزوج إليك؟ قال أبو بكر للمطعم بن عدي: أقول: هذه تقول ذلك؟ فخرج من عنده وقد أذهب الله عز وجل ما كان في نفسه من عدته التي وعده، فرجع فقال لخولة: ادعي لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعته فزوّجه إياه، وعائشة يومئذ بنت ست سنين.

ثم خرجت فدخلت على سودة بنت زمعة فقالت: ماذا أدخل الله عز وجل عليك من الخير والبركة؟ قالت: وما ذاك؟ قالت: أرسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم أخطبك عليه. قالت: وددت، ادخلي إلى أبي فاذكري ذاك له، وكان شيخا كبيرًا قد أدركه السن قد تخلف عن الحج، فدخلت عليه فحيّته بتحية الجاهلية، فقال: من هذه؟ فقالت: خولة بنت حكيم، قال: فما شأنك؟ قالت: أرسلني محمد بن عبد الله أخطب عليه سودة، قال: كفء كريم، ماذا تقول صاحبتك؟ قالت: تحب ذاك، قال: ادعها إليّ فدعيتها، قال: أي بنية، إن هذه تزعم أن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب قد أرسل يخطبك وهو كفء كريم، أتحبين أن أزوّجك به، قالت: نعم، قال: ادعيه لي فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوجها إياه.

فجاءها أخوها عبد بن زمعة من الحج فجعل يحثي في رأسه التراب، فقال بعد أن أسلم: لعمرك إني لسفيه يوم أحثي في رأسي التراب أن تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم سودة بنت زمعة. (مستدرك الحاكم ح٢٧٠٤).

يتبين من هذه القصة سهولة الأمور التي صعبها كثير من الناس على أنفسهم، سهولة في الخطبة سهولة في العقد سهولة في البناء، والبركة من الله مع أهل التيسير.

زواج عليّ رضي الله عنه من فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم:

عن ابن بريدة عن أبيه قال: قال نفر من الأنصار لعلي: عندك فاطمة (يعني ليتزوجها) فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «ما حاجة ابن أبي طالب» قال: ذكرت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «مرحبًا وأهلًا» لم يزده عليهما، فخرج عليٌ على أولئك الرهط من الأنصار ينظرونه قالوا: ما وراءك؟ قال: ما أنه قال لي: «مرحبًا وأهلًا» قالوا: يكفيك من رسول الله إحداهما، أعطاك الأهل وأعطاك المرحب، فلما كان بعدما زوجه قال: «يا عليّ: إنه لا بد للعروس من وليمة» فقال سعد: عندي كبش، وجمع له رهط من الأنصار آصعًا من ذرة، فلما كان ليلة البناء قال له صلى الله عليه وسلم: «لا تُحدث شيئا حتى تلقاني» قال: فدعا رسول الله بإناء فتوضأ فيه ثم أفرغه على علي، ثم قال: «اللهم بارك فيهما وبارك عليهما وبارك لهما في نسلهما». (الطبقات الكبرى ٨/ ٢١).

وهنا يعلم الرسول صلى الله عليه وسلم استنزال رحمة الله تعالى وبركته على العروسين وعلى نسلهما الذي هو قرة العين

ومقصد من مقاصد الزواج.

زواج عمر بأم كلثوم بنت علي رضي الله عنهم

أما أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب، وأمها فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، بنت خديجة بنت خويلد؛ فإن عمر بن الخطاب خطبها إلى عليّ بن أبي طالب فقال علي: إنما حبست بناتي على بني جعفر، فقال عمر: أنكحنيها يا عليّ فوالله ما على ظهر الأرض رجل يرصد من حُسن صحبتها ما أرصد، فقال علي: قد فعلت. فجاء عمر إلى مجلس المهاجرين بين القبر والمنبر وكانوا يجلسون مع علي وعثمان والزبير وطلحة وعبد الرحمن بن عوف فإذا كان الشيء يأتي عمر من الآفاق جاءهم فأخبرهم ذلك واستشارهم، فجاء عمر فقال: رفئوني (أي باركوا لي) فرفؤوه وقالوا: بمن يا أمير المؤمنين قال: بابنة علي بن أبي طالب، ثم أنشأ يخبرهم فقال: إن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كلّ نَسَب وسبب منقطع يوم القيامة إلا نسبي وسببي». (السلسلة الصحيحة ٥٩/٥).

وإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم قد أشار إلى أن المرأة تنكح لنسبها فإن النسبة إلى رسول الله هي خير الانتساب يوم تقطع وتنتفي الأنساب. وهذا الذي حرص عليه ابن الخطاب رضي الله عنه.

زواج عروة من سودة بنت عبد الله بن عمر رضي الله عنهم

عن عروة بن الزبير قال: خطبت إلى ابن عمر بنته سودة ونحن في الطواف فلم يجبني بشيء؛ فلما دخلت المدينة بعده مضيت إليه فقال: أكنت ذكرت سودة؟ قلت: نعم؛ قال: إنك ذكرتها ونحن في الطواف يتخايل الله بين أعيننا، أفلك فيها حاجة؟ قلت: أحرص ما كنت. قال: يا غلام ادع عبد الله بن عبد الله، ونافعًا مولى عبد الله، قال:.. فدعاهما ثم قال لهما: هذا عروة بن أبي عبد الله، وقد علمتما حاله، وقد خطب إليّ سودة، وقد زوّجته إياها بما جعل الله للمسلمات على المسلمين من إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان، وعلى أن يستحلها بما يُستحل به مثلها. أقبلتَ يا عروة؟ قلت: نعم؛ قال: بارك الله لك. (الطبقات الكبرى٨/٢٢).

هذا زواج العباد الزهاد، والملاحظ هنا أن عروة مع توقعه رفض ابن عمر -رضي الله عن الجميع- لطلبه الزواج من ابنته إلا إنه ذهب بعد عودتهما من مكة إلى المدينة ليسلم على ابن عمر ويطمئن عليه وهو في مقام والده.

التزويج على الإسلام وعلى القرآن

عن أنس رضي الله عنه: أن أبا طلحة خطب أم سليم فقالت: يا أبا طلحة ألست تعلم أن إلهك الذي تعبد خشبة نبتت من الأرض نجرها حبشي بني فلان؟ إن أنت أسلمت لم أرِدْ منك من الصداق غيره، قال: حتى أنظر في أمري، قال: فذهب ثم جاء فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله، قالت: يا أنس: زوِّج أبا طلحة. وأنس هو ابن أم سليم. (صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وله شاهد صحيح على شرط الشيخين).

وعن سهل بن سعد قال: جاءت امرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: إني وهبت منك نفسي، فقامت طويلاً، فقال رجل: زوِّجنيها إن لم تكن لك بها حاجة، قال: «هل عندك من شيء تصدقها؟» قال: ما عندي إلا إزاري، فقال: «إن أعطيتها إياه جلست لا إزار لك فالتمس شيئًا» فقال: ما أجد شيئًا، فقال: «التمس ولو خاتمًا من حديد» فلم يجد، فقال: «أمعك من القرآن شيء؟» قال: نعم سورة كذا، وسورة كذا، لسور سماها، فقال: «زوجناكها بما معك من القرآن» (صحيح البخاري).

وهذه المرأة رحمها الله ورضي عنها كانت أبلغ ما تكون امرأة في معالجة أمر خاطبها بدعوته إلى الإسلام أولاً، ولقد أحسنت دعوته وكسبت رجلا من خيرة الرجال، وأعظم من ذلك كسبت الأجر الجزيل عند الله تعالى، وكانت الدنيا في سبيل ذلك تحت قدميها فرفع الله قدرها وبشرها بالجنة. لقاء صلاحها وجعلها مهرها إسلام من كان أحد الأخيار.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: "المهر ملك للمرأة، ولها حق التصرُّف فيه، فإن جعلت مهرها القرآن أو الإسلام صح ذلك؛ بل هو أعظم المهور وأفضلها".

والحمد لله رب العالمين.

تحذير الداعية من القصص الواهية

الحلقة (٢٤٤)

قصة الوزراء الأربعة الذين أيَّد اللّه بهم النبي صلى اللّه عليه وسلم

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد: فنواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت على ألسنة القصاص والوعاظ، وإلى القارئ الكريم التخريج والتحقيق.

إعداد / علي حشيش

أولا: أسباب ذكر هذه القصة:

١) اشتهار هذه القصة لوجودها في بعض كتب السُّنَّة الأصلية كما سنبين من التخريج، وهي قصة: «الوزراء الأربعة الذين أيد الله بهم النبي صلى الله عليه وسلم».

٢) الوزراء الأربعة -كما سنبين من المتن-: اثنان من أهل السماء، واثنان من أهل الأرض: أما الاثنان من أهل السماء، فهما جبريل وميكائيل، ونتساءل لماذا اقتصر التأييد على جبريل وميكائيل؟

ألم يؤيد الله تعالى نبيه محمدًا صلى الله عليه وسلم بملك الجبال في أشد يوم مرَّ على النبي صلى الله عليه وسلم: فقد أخرج الإمام البخاري في «صحيحه» ح (٣٢٣١)، والإمام مسلم في «صحيحه» ح (١٧٩٥) من حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم: يا رَسولَ اللَّهِ، هلْ أتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كانَ أشَدَّ مِن يَومِ أُحُدٍ؟ فَقالَ: "لقَدْ لَقِيتُ مِن قَوْمِكِ وكانَ أشَدَّ ما لَقِيتُ منهمْ يَومَ العَقَبَةِ، إذْ عَرَضْتُ نَفْسِي علَى ابْنِ عبدِ يالِيلَ بنِ عبدِ كُلَالٍ فَلَمْ يُجِبْنِي إلى ما أرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وأَنَا مَهْمُومٌ علَى وجْهِي، فَلَمْ أسْتَفِقْ إلَّا بقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أنَا

بسَحابَةٍ قدْ أَظَلَّتْنِي فَنظَرْتُ فَـإِذا فيها جِبْرِيلُ، فَنادانِي، فَقـالَ: إنَّ اللَّهَ عـزَّ وجَـلَّ قدْ سمعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لكَ، وما رَدُّوا عَلَيْكَ، وقـدْ بَعَثَ إلَيْكَ مَلَكَ الجِبالِ لِتَأْمُرَهُ بما شِئْتَ فيهم، قـالَ: فَـنـادانِي مَـلَـكُ الجِبالِ وسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قالَ: يا مُحَمَّدُ، إنَّ اللَّهَ قدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لـكَ، وأَنـا مَلَكُ الجِبـالِ وقـدْ بَعَثَنِي رَبُّـكَ إلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بأَمْرِكَ، فَما شِئْتَ، إنْ شِئْتَ أنْ أُطْبِقَ عليهمُ الأخْشَبَيْنِ، فقالَ له رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسَلَّمَ: بَلْ أرْجُو أنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِن أصْلابِهِمْ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ وحْـدَهُ لا يُشْرِكُ به شيئًا". واللفظ لمسلم.

قلت: ومن غريب ألفاظ هذا الحديث ليتبين المعنى للقارئ الكريم.

أ) (قـرن الثعالب): هو قرن المنازل، وهو ميقات أهل نجد، وهو على مرحلتين من مكة، وأصل القرن كل جبل صغير ينقطع من جبل كبير، نقله الإمام النووي في «شرح مسلم عن القاضي عياض»، وقرن المنازل بينه وبين مكة (٩٤) كيلو مترًا.

ب) (الأخشبين) هما جبلا مكة: أبـو قبيس والجبـل الـذي يقابله، وسميا بذلك لصلابتهما. اهـ. [فتح الباري ٦/٣٦٤].

٣) قد يحاول من لا دراية له بالصناعة الحديثية أن يأتي بتأويل ليثبت أن الوزيرين من أهل السماء هما جبريل وميكائيل، ونقول له: أثبت ثم انقش، وسنبين من التحقيق أن الخبر لا يثبت، وأن القصة واهية.

٤) أما الوزيران اللذان من أهل الأرض، وأيد الله بهما النبي صلى الله عليه وسلم كما سنبين في المتن فهما أبـو بكر وعمر.

ونتساءل لماذا اقتصر التأييد على أبي بكر وعمر؟

وقـد أخـرج الإمـام البخاري في «صحيحه» ح (٣٦٧٥)، ح (٣٦٨٦) من حديث أنس بن مـالك رضـي الله عنه قـال: صعد النبي صلى الله عليه وسلم أُحُـدًا ومعه أبـو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم فضربه برجله فقال: «اثبُتْ أُحد فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان».

بـل أخـرج البخاري في «صحيحه» ح (٤٤١٦) ومسلم في «صحيحه» (٢٤٠٤) من حديث سعد بن أبـي وقاص رضي الله عنه قـال: «خـرج رسـول الله صلى الله عليه وسلم إلـى تبوك واستخلف علـيَّ بـن أبـي طـالـب فقال: أتـخـلـفـنـي في الصبيان والنساء؟ فقال: ألا ترضي أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه ليس نبي بعدي».

قلت: هذه المنزلة يثبتها الله سبحانه وتعالى على لسان نبيه موسى عليه السلام فقال تعالى: «وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَارُونَ أَخِي» (طـه: ٢٩، ٣٠).

مـن أجـل هـذا سنبـين في هـذا البحث: قصة «الـوزراء الأربـعـة الـذيـن أيـد الله بهم النبي صلى الله عليه وسلم»، تلك القصة الواهية، والـتـي سنكشف عـوارهـا ونبين عارها، ونستخرج من التخريج والتحقيق عللها التي بها يستبين وضعها.

ثانيا: المتن

روي عـن ابـن عـبـاس رضي الله عنهما قـال: قـال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله تعالى أيدني بأربعة وزراء نقباء»، قلنا يا رسول الله من هـؤلاء الأربـع؟ قال: «اثنان من أهل السماء واثنان من أهـل الأرض». فقلت: من الاثنان من أهل السماء؟ قال: «جبريل وميكائيل».

قلنا: ومـن الاثـنـان مـن أهـل الأرض؟ قـال: «أبـو بكر وعمر». اهـ.

ثالثا: التخريج

١) هـذا الخـبر أخـرجـه الإمـام الحافظ أبـو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني المتوفى (٣٦٠هـ) في كتابه «المعجم الكبير» (١١/١٧٩) ح (١١٤٢٢) قـال: حدثنا الحسن بن علي الفسوي، ثنا عبد الرحمن بن نافع درخت، ثنا محمد بـن مجيـب، عن وهيـب بـن الـورد المكي، عن

عطاء بن أبي رباح، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله أيدني بأربعة وزراء نقباء...» الحديث.

٢) وأخرجه الحافظ أبو جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حماد العقيلي المكي المتوفى (٣٢٢هـ) في كتابه «الضعفاء الكبير» (١٧٠٣/١٤١/٤) قال: حدثنا محمد بن الحسن بن علي الفارسي، حدثنا عبد الرحمن بن نافع درخت، حدثنا محمد بن مجيب، عن وهيب المكي، عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله عز وجل أيدني بأربعة نقباء...» الحديث.

٣) وأخرجه الإمام الحافظ أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي المتوفى (٤٦٣هـ) في كتابه «تاريخ بغداد» (١٣٨٥/٢٩٨/٣) قال: حدثنا محمد بن أحمد بن رزق، حدثنا أبو بكر محمد بن الحسن بن علي بن إبراهيم الدقاق الكوفي، حدثنا الحسن بن علي بن الوليد الفارسي، حدثنا عبد الرحمن بن نافع أبو زياد درخت، وأنبأنا علي بن محمد بن عبد الله المعدل- واللفظ له-، حدثنا دعلج بن أحمد، حدثنا أحمد بن موسى الكوفي، حدثنا محمد بن عبد الله الرازي البغدادي، قالا: حدثنا محمد بن مجيب عن وهب المكي عن عطاء عن ابن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله أيدني بأربعة وزراء....» الحديث.

رابعًا: التحقيق:

نستنتج من التخريج والبحث في أسانيد هذا الخبر الذي جاءت به القصة أن هذا الحديث فرد مطلق، والفرد المطلق هو كما عرفه الإمام السخاوي في «فتح المغيث» (٤/٤): «الفرد المطلق: وهو الحديث الذي لا يُعرف إلا من طريق ذلك الصحابي ولو تعددت الطرق إليه».

ولذلك بيّن الإمام الحافظ الخطيب البغدادي في كتابه «تاريخ بغداد» (٢٩٨/٣) هذا التفرد فقال: «تفرد بروايته محمد بن مجيب عن وهيب عن عطاء».

١) لذلك قال أيضا الإمام العقيلي في «الضعفاء الكبير» (١٤١/٤) عقب تخريجه لهذا الحديث: «ولا يتابع عليه».

٢) ولهذا تتركز علة هذا الخبر في محمد بن مجيب.

٣) أقوال أئمة الجرح والتعديل فيه:

أ) قال الإمام الحافظ ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٩٦/١/٤): «سمعت أبي يقول ذلك، وسألته عنه فقال: شيخ بغدادي ذاهب الحديث». اهـ.

ب) ونقله الإمام الحافظ الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٢٩٨/٣) وأقره. اهـ.

ج) ثم أخرج الخطيب البغدادي بسنده عن الإمام يحيى بن معين قال: «محمد بن مجيب كان جار عباد بن العوام، وكان كذابًا عدوًا لله». اهـ.

د) وأخرج الخطيب البغدادي بسنده عن ابن سعيد، قال: «محمد بن مجيب الصائغ الكوفي منكر الحديث، سكن بغداد». اهـ.

هـ) وأخرج الإمام الحافظ العقيلي في كتابه «الضعفاء الكبير» (١٤١/٤) بسنده عن يحيى بن معين قال: «محمد بن مجيب كان جار عباد بن العوام وكان كذابًا عدوًا لله». اهـ.

و) وأخرج الإمام ابن عدي في «الكامل» (٢٦٢/٦) (١٧٤١/١٢٠) بسنده عن الإمام يحيى بن معين، قال: «محمد بن مجيب كذاب، وفي موضع آخر: محمد بن مجيب كان جار عباد بن العوام، وكان كذابًا عدوًا لله». اهـ.

ز) ونقل الإمام الذهبي في «الميزان» (٨١١٦/٢٤/٤) بعض أقوال أئمة الجرح والتعديل في محمد بن مجيب بأنه كذاب ذاهب الحديث.

هذا ما وفقني الله إليه وهو وحده من وراء القصد.

درر البحار
في بيان ضعيف الأحاديث القصار

الحلقة (٩٧) — القسم الثاني

علي حشيش

٨٧٧- «لن يخرج رجلٌ من الإيمان إلا بجحود ما دخل فيه».

الحديث لا يصح: أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٢١٧/٥) ح(٤٤٣٠) من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعًا، وهو حديث غريب حيث قال الطبراني: لم يرو هذا الحديث على مسعر إلا إسماعيل بن يحيى التيمي، تفرد به محمد بن حرب، وعلّته إسماعيل بن يحيى التيمي، قال الإمام الذهبي في «الميزان» (٩٦٥/٢٥٣/١) قال صالح بن محمد جزرة: "كان يضع الحديث"، وقال الأزدي: "ركن من أركان الكذب، لا تحل الرواية عنه"، ثم ساق له ابن عدي سبعة وعشرين حديثًا، وقال: "عامة ما يرويه بواطيل"، وقال أبو علي النيسابوري الحافظ والدارقطني والحاكم "كذاب"، ثم ختم ترجمته بقوله: "مُجمَع على تركه". اهـ.

٨٧٨- «إنها تنزل الرحمةُ عند ذكر الصالحين».

الحديث لا يصح: أورده الشوكاني في «الفوائد المجموعة» ص (٢٠٤) ونقل عن العراقي وابن حجر قولهما: «لا أصل له». اهـ.

٨٧٩- «من نظر إلى محاسن امرأة فغض طرفه في أول نظرة رزقه الله تعالى عبادة يجد حلاوتها في قلبه».

الحديث لا يصح: أخرجه ابن عدي في «الكامل» (١٥٣/٥) (١٣١٦/٣٤٨) من حديث أبي أمامه مرفوعًا، وعلته عمرو بن زياد بن عبد الرحمن بن ثوبان قال: ابن عدي: منكر الحديث يسرق الحديث، ويحدث البواطيل، وكان يُتَهم بوضع الحديث. اهـ.

وأورده الذهبي في «الميزان» (٢٦٠/٣)، ونقل قول ابن عدي وأقره، ثم قال: «وقال الدارقطني: يضع الحديث». اهـ.

٨٨٠- «من أراد أن يُؤتيه الله علمًا بغير تعلُّم، وهدى بغير هداية؛ فليزهد في الدنيا».

الحديث لا يصح: أورده الشوكاني في «الفوائد المجموعة» ص (٢٨٦) ثم نقل عن صاحب المختصر أنه «لم يوجد». اهـ.

٨٨١- «الزَّيديَّة مجوس هذه الأمَّة».

الحديث لا يصح: أورده السخاوي في «المقاصد» ح(٥٤٥) وقال: «لم أجده». اهـ.

وأورده القاري في «المصنوع» ح(١٤٩)، وقال: «موضوع». اهـ.

قلت: وبالبحث في كتب السُّنة الأصلية، والتي جمعها مؤلفوها عن طريق تلقيها عن شيوخهم بأسانيد إلى النبي صلى الله عليه وسلم لم نجد هذا الحديث؛ فهو لا سندَ له حتى يُحكَم بوضعه، والصحيح عند أهل الصنعة الحديثية: «أنه ليس له أصلٌ».

الحلقة (٧١)

قرائن اللغة والنقل والعقل على حمل صفات الله (الخبرية) و(الفعلية) على ظاهرها دون المجاز

جولة مع العلامة ابن قدامة في رد شبهات الأشاعرة ودحض حججهم مناظرة ابن قدامة مع الأشاعرة، في: إثبات صفة الكلام على حقيقتها، وأنه بحرف وصوت لا يشبه حروف وأصوات المخلوقين

إعداد أ.د. محمد عبد العليم الدسوقي
الأستاذ بجامعة الأزهر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فللإمام موفق الدين أبي محمد بن قدامة المقدسي ت٦٢٠، حجاج طويل وكلام نفيس، في تجلية معتقد أهل السنة بحق إثبات صفة الكلام لله تعالى ورد شبه مخالفيهم ومنهم الأشاعرة الذين صرح -رحمه الله- بذكرهم في غير ما مرة، ونذكر مما ورد في كتابه: (لمعة الاعتقاد) قوله: "ومن صفات الله تعالى: أنه متكلم بكلام قديم، يسمعه منه من شاء من خلقه، سمعه موسى عليه السلام منه من غير واسطة، وسمعه جبريل ومن أذن له من ملائكته ورسله، وأنه سبحانه يكلم المؤمنين في الآخرة ويكلمونه، ويأذن لهم فيزورونه"، وذكر الآيات والآثار في ذلك، إلى أن قال في رد من نسب قرآنه تعالى لجبريل، فألزم بخلقه بعد أن نفى عن كلام الله الصوت والحرف، بحجة أنهما حادثان والله منزه عن ذلك:

"ومن كلام الله: القرآن العظيم.. نزل به الروح الأمين، على قلب سيد المرسلين، بلسان عربي مبين، منزل غيرُ مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، وهو سُورٌ محكمات وآياتٌ بينات، وحروفٌ وكلمات، من قرأه فأعربه فله بكل حرف عشر حسنات، له أولٌ وآخر، وأجزاءٌ وأبعاض، متلوٌّ بالألسنة، محفوظ في الصدور، مسموعٌ بالآذان، مكتوبٌ في المصاحف، فيه محكم ومتشابه وناسخ ومنسوخ، وخاص وعام، وأمر ونهي.. وهو هذا الكتاب العربي الذي قال فيه الذين كفروا: (لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا الْقُرْآنِ) (سبأ/ ٣١)، وقال بعضهم: (إِنْ هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ)، فقال سبحانه: (سَأُصْلِيهِ سَقَرَ) (المدثر/ ٢٥، ٢٦)، وقال بعضهم: (هو شعر) فقال الله: (وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ) (يس/ ٦٩).

فلما نفى الله عنه أنه شعر وأثبته قرآناً، لم يبق شبهة لذي لب في أن القرآن هو هذا الكتاب العربي الذي هو كلمات وحروف وآيات، لأن ما ليس كذلك لا يقول أحد: إنه شعر، وقال عز وجل: (وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ) (البقرة/ ٢٣)، ولا يجوز أن يتحداهم بالإتيان بمثل لا يُدرى ما هو ولا يُعقل، وقال تعالى: (وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ

قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي) (يونس/ ١٥)، فأثبت أن القرآن هو الآيات التي تتلى عليهم"، إذ لا يُتلى إلا ما هو حروف وكلمات، وذكر في ذلك من الأدلة والآثار ما به تقام الحجة، ثم أتبعه بسوق الإجماع في ذلك قائلاً:

"واتفق المسلمون على عدّ سور القرآن وآياته وكلماته وحروفه، ولا خلاف بين المسلمين في أن من جحد من القرآن سورة أو آية أو كلمة أو حرفاً أنه كافر، وفي هذا حجة قاطعة أنه حروف" ا.هـ.

١ - دحض ابن قدامة فرية الأشاعرة في نفي الصوت عن كلامه تعالى:

ومن المناسب أن نذكر هنا لابن قدامة قوله -في كتابه (مناظرة أهل البدع في القرآن وكلام الله القديم) ص١٤٣ ناقلاً إجماع أهل السنة على إثبات الصوت لله تعالى-: "وقالوا أيضاً: قد قلتم: (إن الله يتكلم بصوت، ولم يأت به كتاب ولا سنة!)، قلنا: (بلى: قد ورد به الكتاب والسنة، وإجماع أهل الحق)".. ثم ساق الأدلة في ذلك، وذكر منها قوله تعالى: (وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ) (الشعراء/ ١٠)، وعلق يقول: "ولا خلاف بيننا أن موسى سمع كلام الله من الله بغير واسطة، ولا يُسمع إلا الصوت، فإن الصوت هو ما يتأتى سماعه".

وكان ابن قدامة قد عقد مناظرة حاور فيها بعض من أنكر الكلام والحرف والصوت من المعتزلة والأشاعرة، وأطال فيها الكلام معهم، وقد جاء فيها ما نصه يخاطب الأشاعرة: "موضع الخلاف: أننا نعتقد أن القرآن كلام الله، وأنه سور وآيات وحروف وكلمات، متلو مسموع مكتوب، وعندهم: أن هذه السور والآيات ليست بقرآن، وإنما هي عبارة عنه وحكاية، وأنها مخلوقة، وأن القرآن معنى في نفس الباري، وهو شيء واحد لا يتجزأ ولا يتبعض ولا يتعدد، ولا هو شيء ينزل ولا يُتلى ولا يُسمع ولا يُكتب، وأنه ليس في المصاحف إلا الورق والمداد.

واختلفوا في هذه السور التي في القرآن، فزعم بعضهم: إنها عبارة جبريل، هو الذي ألفها بإلهام الله له ذلك، وزعم آخرون منهم: أن الله خلقها في اللوح المحفوظ فأخذها جبريل منه، واحتجوا على كون هذه السور مخلوقة: (بأنها تتعدد ولا يتعدد إلا المخلوق)، وهذا يَبْطل بصفات الله، فإنها صفات متعددة منها: (السمع، والبصر، والعلم، والإرادة، والقدرة، والحياة، والكلام)، ولا خلاف في أنها قديمة، وكذلك (أسماء الله)، فإنها متعددة، قال تعالى: (وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا) (الأعراف/ ١٨٠)، وفي الصحيحين وغيرهما: (إن لله تسعة وتسعين اسماً، مائة إلا واحدة، من أحصاها دخل الجنة)، فثبت تعداد أسماء الله بالكتاب والسنة والإجماع، وأنها قديمة، وقد نص الشافعي على أن أسماء الله غير مخلوقة، وقال أحمد: من زعم أن أسماء الله مخلوقة فقد كفر.

وكذلك كلمات الله متعددة، قال تعالى: (قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا) (الكهف/ ١٠٩)، وهي قديمة، وكذلك كُتبُ الله متعددة، وهي غير مخلوقة، وإن قالوا: هي مخلوقة فقد قالوا بخلق القرآن، وهو قول المعتزلة وقد اتفقنا على ضلالهم، واتفق المنتمون إلى السنة على أن القائل بخلق القرآن كافر، منهم من قال: كفرٌ يخرج من الملة، ومنهم من قال: لا ينقله عنها، فمتى قالوا بخلق القرآن وغيره من كتب الله، فقد قالوا بقول

أقروا فيه بكفر قائله.. وإن أقروا بها غير مخلوقة، وهي متعددة فقد بطل قولهم.. وإن قالوا: هي شيء واحد غير متعددة فقد كابروا.

ويجب على هذا أن تكون التوراة هي: القرآن والإنجيل والزبور، وأن موسى لما أنزلت عليه التوراة فقد أنزل عليه كل كتب لله، وأن نبينا لما أنزل عليه القرآن فقد قرأ كل كتب الله، ومن حفظ شيئاً فقد حفظه كله.. ويجب على هذا أن لا يتعب أحد في حفظ القرآن: لأنه يحصل له حفظ كل كتاب الله بحفظ آية منه.. ويجب أن يكون صلى الله عليه وسلم لما أنزل عليه آية من القرآن، قد أنزل عليه جميعه وجميع التوراة والإنجيل والزبور، وهذا خزي على قائله ومكابرة لنفسه.. ويجب على هذا أن يكون الأمر هو النهي، والإثبات هو النفي، وقصة نوح هي قصة هود ولوط، وأحد الضدين هو الآخر، وهذا قول من لا يستحيي ويشبه قول السوفسطائية، وقد بلغني عن واحد منهم أنه قيل له: (سورة البقرة هي سورة آل عمران؟)، قال: (نعم).

فإن قالوا: (إن كلام الله هو هذه الكتب، لكن لم ينزل منه شيء على الأنبياء، ولا هو شيء يُحفظ ولا يُتلى ولا يُسمع، وإنما أُنزل عبارته)، فقد كذبهم القرآن والسنة وإجماع الأمة، فإنه لا خلاف بين المسلمين كلهم أن القرآن أُنزل على محمد، وأن التوراة أنزلت على موسى، والإنجيل أُنزل على عيسى، والزبور أنزل على داود".. وذكر رحمه الله الآيات في ذلك، ثم قال:

"وقد أكفر الله اليهود بقولهم: (ما أنزل الله على بشر من شيء)، ثم قال: (قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً وهدىً للناس)، ثم قال: (قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ) (الأنعام/ ٩١).. وفي الصحيحين من حديث عمر: (أنزل القرآن على سبعة أحرف) والسنة مملوءة منه".

وفي رد شبهة الأشاعرة القائلة بأن كلام الله عبارة عن المعنى النفسي القائم بالله والدال عليه، والتي تقضي بأن القرآن ليس كلام الله على الحقيقة ولا كتابه وإنما هو حكاية عنه، يقول ابن قدامة: "لا خلاف بين المسلمين أن كتاب الله هو القرآن العظيم المنزل على سيد المرسلين بلسان عربي مبين، وقد أخبر تعالى بذلك فقال: (الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا) (يوسف/ ١، ٢)، وقال: (وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى) (الأحقاف/ ٢٩: ٣٠)، فسمُّوه قرآنا وكتاباً، ولا يخفى هذا إلا على من أعمى الله قلبه وأضله عن سبيله (وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ) (الزمر/ ٣٦)".

٢- رد ابن قدامة لشبه الأشاعرة في نفيهم الحرف:

وفي رد شبههم في نفي الحرف قال: "واحتجوا بأن هذه الحروف لا تخرج من مخارج وأدوات، فلا يجوز إضافة ذلك على الله، والجواب عن هذا من أوجه:

أحدها: ما الدليل على أن الحروف لا تكون إلا من مخارج وأدوات؟، فإن قالوا: لأننا لا نقدر على النطق بها إلا من مخارج وأدوات، فكذلك رب العالمين.. قلنا: هذا قياس لله على خلقه، وتشبيه له بعباده، وإلحاق لصفاتهم بصفاته، وهذا من أقبح الكفر، وقد اتفقنا على أن الله لا يُشبَّه بخلقه، وأنه (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) (الشورى/ ١١).

الثاني: أن هذا باطل، بسائر صفات الله، فإن العلم لا يكون في حقنا إلا بقلب، والسمع لا يكون إلا من انخراق، والبصر لا يكون إلا من حدقة، والله تعالى عالم سميع بصير ولا يوصف بذلك.. فإن نفيتم له الصفات لافتقاره في زعمكم إلى المخارج والأدوات، فيلزمكم نفي سائر الصفات، وإن أثبتم له الصفات ونفيتم عنه الأدوات لزمكم مثل ذلك في الكلام، وإلا فما الفرق بينهما؟.

الثالث: إن الله أنطق بعض مخلوقاته بغير مخارج، قال تعالى: (وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ) (يس/ ٦٥)، وقال: (حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ

وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ (٢٠) وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ) (فصلت/ ٢٠، ٢١)، وأخبر عن السماء والأرض أنهما (قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ) (فصلت/ ١١)، وأخبر صلى الله عليه وسلم أن حجرا كان يسلم عليه، وسبح الحصى في يديه، وقال ابن مسعود: كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يُؤكل، ولا خلاف في أن الله قادر على إنطاق الحجر الأصم من غير مخارج، فلم لا يقدر على التكلم إلا من المخارج.

واحتجوا بأن الحروف يدخلها التعاقب، فيسبق بعضها بعضاً، والجواب: أن هذا يلزم في حق من يتكلم بالمخارج والأدوات والله لا يوصف بذلك، وعلى أن هذا يعود إلى تشبيه الله بعباده، فإنه لا يُتصور في حقه إلا ما يُتصور منهم، وهذا باطل في نفسه.

فإن قالوا: فما دليلكم على أن هذه السور المشتملة على الحروف قرآن؟، قلنا: كتاب الله وسنة رسوله وإجماع الأمة، أما كتاب الله فقوله سبحانه: (وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ) (يس/ ٦٩)، فأخبر تعالى أن الذي سموه شعراً، هو قرآنٌ مبين، وما ليس بحروف لا يجوز أن يكون شعراً عند أحد، فلما ثبت أنهم سمُّوه شعراً دل على أنه حروف.

وقال تعالى: (إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ) (الإسراء/ ٩)، وقال: (إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ) (النمل/ ٧٦)، وقال: (لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ) (الحشر/ ٢١)، فأشار إلى حاضر وتحداهم بالإتيان بمثله، ولا يجوز التحدي بما لا يُعلم ولا يُدري ما هو.

وقال: (وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ) (الأنفال/ ٣١)، وقال: (وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ ۙ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ) (يونس/ ١٥)، وقال: (وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ) (الزخرف/ ٣١)، فأخبر الله عنهم أنهم ادَّعوا القدرة على أن يقولوا مثله، ومرة أنهم طلبوا منه الإتيان بغيره أو تبديله، ومرة قالوا لولا أنزل على غيره، فعُلم يقينا أنه هذا الموجود عندنا، الذي هو سور وآيات وحروف وكلمات.

وقال الله تعالى: (وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا۟) (الإسراء/ ٤١)، وقال: (وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا) (الإسراء/ ٨٩)، وقال: (وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا) (الكهف/ ٥٤)، وهذه إشارة إلى حاضر، والذي صُرفت فيه الأمثال إنَما هو هذا القرآن العربي الذي يعرفه الناس قرآنا وسمَّاه تعالى (عربياً)، وهذا إنما يوصف به النظم الذي هو حروف دون ما لا يُعرف ولا يُدرى ما هو.

وقال تعالى: (إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) (يوسف/ ٢)، وقال: (وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ) (طه/ ١١٣)، وقال: (وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ (١٩٣) عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ) (الشعراء/ ١٩٢: ١٩٥)، وقال: (كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا) (فصلت/ ٣)، وقال: (وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا) (الأحقاف/ ١٢)، وهذه الآيات وأشباهها تدل بمجموعها على أن القرآن، هذا الذي هو سور محكمات وآيات مفصلات وحروف وكلمات.

وإلى لقاء، والحمد لله رب العالمين

باب الفقه

الحلقة الرابعة

صلاة الجنازة

إعداد **د. حمدي طه**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد : فقد تكلمنا في اللقاء السابق عن شروط صلاة الجنازة وأركانها، وهي القيام في صلاة الجنازة، والنية، وأربع تكبيرات، والدعاء للميت، وقراءة الفاتحة، ونكمل الحديث عن بقية الأركان والسنن.

٦- الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم:

وهي ركن عند الشافعية والحنابلة، ولا تتعين صيغة معينة؛ لأن المقصود مطلق الصلاة، وأقلها اللهم صل عل محمد، والصحيح عند الشافعية أن الصلاة على الآل لا تجب كغيرها من الصلوات وأولى لبنائها على التخفيف، ومحل الصلاة على النبي عندهم بعد التكبيرة الثانية لفعل السلف والخلف، فلا تجزئ في غيرها صلى الله عليه وسلم وهو الظاهر من كلام الحنابلة (انظر: مغني المحتاج للشربيني ١/٣٤٢، غاية المنتهى لمرعي بن يوسف١/٢٥٩).

والراجح أنه يجوز قراءتها بعد أي تكبيرة، قال الشوكاني: ولم يرد ما يدل على تعيين موضعها والظاهر أنها تفعل بعد القراءة) (نيل الأوطار ٧٦/٤).

واستدل الشافعية والحنابلة بحديث أبي أمامة بن سهل أنه أخبره رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم: "أن السُّنَة في الصلاة على الجنازة أن يكبر الإمام ثم يقرأ بفاتحة الكتاب بعد التكبيرة الأولى سرًا في نفسه، ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم، ويخلص الدعاء للجنازة في التكبيرات الثلاث لا يقرأ في شيء منهن، ثم يسلم سرًا في نفسه حين ينصرف عن يمينه، والسّنة أن يفعل من ورائه مثلما فعل إمامه" (رواه البيهقي في السنن الكبرى وصححه الألباني في أحكام الجنائز).

وذهب الحنفية والمالكية إلي أن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم من سنن صلاة الجنازة؛ لأن من سنة الدعاء تقديم الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم كما في حديث فضالة بن عبيد صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يدعو في صلاته لم يمجِّد الله ولم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "عجل هذا". ثم دعاه فقال له أو لغيره: إذا صلى أحدكم فليبدأ

بتمجيد الله والثناء عليه، ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم، ثم يدعو بعد بما شاء" (رواه أبو داود والترمذي وصححه الألباني).

وما ذهب إليه الشافعية والحنابلة أرجح لقوة أدلتهم.

٧- السلام:

السلام في صلاة الجنازة ركن عند المالكية والشافعية والحنابلة، واستدلوا لذلك بحديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: "ثلاث خلال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعلهن تركهن الناس: إحداهن التسليم على الجنازة مثل التسليم في الصلاة" (رواه البيهقي في السنن الكبرى وصححه الألباني في أحكام الجنائز).

وقد قال صلى الله عليه وسلم: "صلوا كما رأيتموني أصلي" متفق عليه.

وعموم حديث على بن أبي طالب رضي الله عنه: "مفتاح الصلاة الطهور، وتحريمها التكبير وتحليلها التسليم".

فيدخل السلام في صلاة الجنازة في عموم اللفظ؛ لأنها صلاة. والواجب في السلام عند الجميع تسليمة واحدة، وأقلها السلام عليكم (انظر: الشرح الصغير للصاوي ١/٥٥٦، روضة الطالبين للنووي ١/٣٧٢، المغني لابن قدامة ٢/٣٧١).

أما الحنفية فالظاهر عندهم أن السلام في صلاة الجنازة واجب كسائر الصلوات؛ لأنهم لم ينصُوا عليه في الأركان أو السنن. والواجب عندهم يعني أن الصلاة تفسد بتركه وتعاد وجوبًا في العمد والسهو إن لم يسجد له، وإن لم يعد يكون فاسقًا (انظر: حاشية ابن عابدين ١/٣٠٦).

واستدلوا للوجوب بما ورد عن القاسم بن مخيمرة قال أخذ علقمة بيدي فحدثني أن عبد الله بن مسعود أخذ بيده، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ بيد عبد الله فعلمه التشهد في الصلاة فذكر مثل دعاء حديث الأعمش إذا قلت هذا أو قضيت هذا فقد قضيت صلاتك إن شئت أن تقوم فقم وإن شئت أن تقعد فاقعد. رواه أبو داود.

وقال الألباني: شاذ بزيادة: " إذا قلت:...." والصواب أنه من قول ابن مسعود موقوفا عليه.

والأرجح ما ذهب إليه جمهور الفقهاء من المالكية والشافعية والحنابلة.

سنن صلاة الجنازة:

١- رفع اليدين في التكبيرة الأولى

رفع اليدين في التكبيرة الأولى فقط في ظاهر الرواية عند الحنفية ومشهور مذهب المالكية، وأما في غيرها فخلاف الأولى، ورفعهما في كل التكبيرات عند الشافعية والحنابلة (انظر: تبين الحقائق ١/٢٤١، جواهر الإكليل ١/١١١، مغني المحتاج للشربيني ١/٣٤٢، المغني لابن قدامة ٢/٣٧٠).

واستدل الحنفية والمالكية بأنه لا يرفع يديه إلا عند تكبيرة الافتتاح بما رواه الدارقطني من حديث ابن عباس وأبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا صلى على جنازة رفع يديه في أول تكبيرة ثم لا يعود.

وأجيب عنه بضعفه؛ لأن فيه راويًا مجهولاً، قال الحافظ: ولا يصح فيه شيء.

وقد اختار هذا الرأي وأيده ابن حزم والشوكاني، وإن احتج بخلاف ذلك؛ فقال ابن حزم: " وأما رفع الأيدي فإنه لم يأت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه رفع في شيء من تكبيرة الجنازة إلا في أول تكبيرة فقط، فلا يجوز فعل ذلك؛ لأنه عمل في الصلاة لم يأت به نص" (المحلى بالآثار ٣/٣٥١).

وقال الشوكاني: "والحاصل أنه لم يثبت في غير التكبيرة الأولى شيء يصلح للاحتجاج به عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأفعال الصحابة وأقوالهم لا حجة فيها؛ فينبغي أن يقتصر على الرفع عند تكبيرة الإحرام، لأنه لم يشرع في غيرها إلا عند الانتقال من ركن إلى ركن كما في سائر الصلوات ولا انتقال في صلاة الجنازة (نيل الأوطار ٤/٧٧).

واستدل الشافعية والحنابلة بما أخرجه البيهقي عن ابن عمر، قال الحافظ بسند صحيح وعلقه البخاري، ووصله في جزء رفع اليدين أنه كان يرفع يديه في جميع تكبيرات الجنازة.

وأرى أن الأمر في ذلك واسع، ولا ينبغي الإنكار على المخالف.

٢- إسرار القراءة:

يُسن أن يقرأ سرًا في صلاة الجنازة وهو ما عليه جمهور الفقهاء، لحديث أبي أمامة بن سهل قال: "السنة في الصلاة على الجنازة أن يقرأ في التكبيرة الأولى بأم القرآن مخافتةً. ثم يكبر ثلاثًا، والتسليم عند الآخرة".

٣- دعاء الاستفتاح بعد التكبيرة الأولى:

يُندب استفتاح صلاة الجنازة كسائر الصلوات.

٤- التعوذ:

يُسن الاستعاذة قبل قراءة الفاتحة في صلاة الجنازة عند الشافعية والحنابلة؛ لأن التعوذ سنة القراءة مطلقًا.

٥- تسوية الصف:

يُستحب تسوية الصف في الصلاة على الجنازة، كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة على النجاشي.

٦- الدعاء للميت بالمأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم:

فهو أولي وأفضل عند جميع المذاهب لحديث أبي هريرة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: "إذا صليتم على الميت فأخلصوا له الدعاء" رواه أبو داود وابن ماجه.

وقد وردت عدة أدعية نختار منها البعض لعدم الإطالة:

أ- حديث عوف بن مالك أبي هريرة رضي الله عنه قال: صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على جنازة، فحفظتُ من دُعائه وهو يقول: اللَّهُمَّ، اغْفِرْ له وارْحَمْهُ وعافِه واعْفُ عنْه، وأكْرِمْ نُزُلَهُ، ووَسِّعْ مُدْخَلَهُ، واغْسِلْهُ بالماءِ والثَّلْجِ والبَرَدِ، ونَقِّه مِنَ الخَطايا كما نَقَّيْتَ الثَّوْبَ الأبْيَضَ مِنَ الدَّنَسِ، وأَبْدِلْهُ دارًا خَيْرًا مِن دارِه، وأَهْلًا خَيْرًا مِن أهْلِه وزَوْجًا خَيْرًا مِن زَوْجِه، وأَدْخِلْهُ الجَنَّةَ وأَعِذْهُ مِن عَذابِ القَبْرِ، أوْ مِن عَذابِ النَّارِ. قالَ: حتَّى تَمَنَّيْتُ أنْ أكُونَ أنا ذلكَ المَيِّتَ. (صحيح مسلم ٩٦٣).

ب- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى على جنازة فقال: "اللهمَّ اغفرْ لحيِّنا وميِّتنا، وصغيرنا وكبيرنا، وذكرنا وأنثانا، وشاهدنا وغائبنا، اللهمَّ مَنْ أحييتَهُ منَّا فأحيه على الإيمان، ومَنْ توفيتَه منا فتوفَّهُ على الإسلام، اللهمَّ لا تحرمْنا أجرَهُ، ولا تُضلَّنا بعدَهُ" (أخرجه أبو داود: ٣٢٠١).

ج- عن واثلة بن الأسقع عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على رجل من المسلمين، فسمعته يقول: اللَّهمَّ إنَّ فلانَ ابنَ فلانٍ في ذمَّتك وحبلِ جوارك، فقِه فتنةَ القبر وعذابَ النَّار، أنتَ أهل الوفاء والحقِّ، اللَّهمَّ اغفر لهُ وارحمهُ إنَّكَ أنتَ الغفورُ الرَّحيمُ" (أخرجه أبو داود: ٣٢٠٢).

وإذا كان الميت صغيرًا فيستحب الدعاء لوالديه؛ لحديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "الراكب يسير خلف الجنازة، والماشي يمشي خلفها وأمامها وعن يمينها وعن يسارها قريبًا منها. والسقط يُصلَّى عليه، (ويدعى لوالديه بالمغفرة والرحمة)".

قال الشوكاني: إذا كان المصلَّى عليه طفلاً استُحبَّ أن يقول المصلي: (اللهم اجعله لنا سلفًا وفرطًا وأجرًا) روى ذلك البيهقي من حديث أبي هريرة وروى مثله سفيان في جامعه عن الحسن (نيل الأوطار ٧٩/٤).

٧- التسليمة الثانية:

يُسن للمصلي أن يسلم تسليمتين بعد التكبيرة الرابعة عند الحنفية والشافعية خلافًا للمالكية والحنابلة وما ذهب إليه الحنفية والشافعية أرجح؛ لحديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: "ثلاث خلال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعلهن تركهن الناس: إحداهن التسليم على الجنازة مثل التسليم في الصلاة" (رواه البيقهي بإسناد حسن).

٨- صلاة الجنازة جماعة:

اتفق الفقهاء على أنه تُسَنّ صلاة الجنازة جماعة، لحديث مالك بن هبيرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما من مسلم يموت فيصلي عليه ثلاثة صفوف من المسلمين إلا أوجب (وفي لفظ: إلا غُفر له)". رواه أبو داود والترمذي.

وتجوز فرادى؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم مات فصلى عليه الناس فوجاً فوجاً.

والحمد لله رب العالمين.

مقالات في معاني القراءات

الحلقة الرابعة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، فمع بعض معاني القراءات الواردة في سور الجزء التاسع والعشرين من كتاب الله الكريم:

إعداد **د. أسامة صابر**

ومن سورة المرسلات

قوله تعالى: (فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ) (المرسلات:٢٣).

القراءات: قرأ نافع وأبو جعفر والكسائي (فقدرنا) بتشديد الدال، وغيرهم بتخفيفها.

المعنى: (فقدَّرنا) من التقدير كأنه مرة بعد مرة، لأنه ذكر الخلق فقال: (أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ) (المرسلات:٢٠-٢١)، وهذا يبين أطوار خلق الإنسان، كما قال تعالى: (خلقه فقدَّره)، أي قدَّره نطفة ثم علقة ثم مضغة، وعلى قراءة التخفيف: من القدرة، وقال الله عز وجل بعدها (فنعم القادرون)، وقال الفراء: هما لغتان (حجة القراءات لابن زنجلة: ص ٤٠٠)

قوله تعالى: (انطَلِقُوا إِلَىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ) (المرسلات:٣٠).

قرأ رويس بفتح اللام، وغيره بكسرها.

المعنى: أنهم أُمروا أولا بالانطلاق في قوله تعالى: (انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون) وأعيد فعل الأمر على قراءة الجمهور لقصد التوبيخ والإهانة، وعلى قراءة رويس (انطلَقوا) بصيغة الفعل الماضي على معنى أنهم امتثلوا الأمر فانطلقوا إلى دخان النار (التحرير والتنوير لابن عاشور ١٢/٤٣٥، طلائع البشر للشيخ محمد الصادق قمحاوي: ص ١٨٧).

الجزء الثامن والعشرون
من سورة المجادلة

قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ) (المجادلة:١١).

القراءات: قرأ عاصم (المجالس) على الجمع، وغيره بالإفراد (المجلس).

المعنى: أمر الله عباده المؤمنين بحسن الأدب مع بعضهم بعضا بالتوسعة في المجلس، وعدم التضايق فيه، والمجلس على قراءة الجمهور قد يراد مجلس خاص، وهو مجلس النبي صلى الله عليه وسلم، وقال القرطبي: الصحيح في الآية أنها عامة في كل مجلس اجتمع المسلمون فيه للخير والأجر، سواء

كان مجلس حرب أو ذكر أو مجلس يوم الجمعة (فتح القدير للشوكاني، وتفسير القرطبي: سورة المجادلة:١١، حجة القراءات لابن زنجلة: ص٣٧٤).

ومن سورة الحشر

قوله تعالى: (يُخۡرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيۡدِيهِمۡ وَأَيۡدِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ) (الحشر:٢).

القراءات: قرأ أبو عمرو (يُخَرِّبون) بفتح الخاء وتشديد الراء، وغيره بإسكان الخاء وتخفيف الراء.

المعنى: على قراءة الجمهور أن بني النضير كانوا يخرجون من ديارهم ويتركونها معطلة . خرابًا من الإخراب وهو ترك البيت خرابًا بغير ساكن. وعلى قراءة أبي عمرو: (يُخَرِّبون) بمعنى يهدِمون بيوتهم وينقضونها. وقيل التخريب والإخراب بمعنى واحد (تفسير الطبري- سورة الحشر:٢).

قوله تعالى: (لَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرٗى مُّحَصَّنَةٍ أَوۡ مِن وَرَآءِ جُدُرِۭ)(الحشر:١٤).

القراءات: قرأ ابن كثير وأبو عمرو بالإفراد (جدار)، والباقون بالجمع (جدر).

المعنى: أن اليهود والمنافقين من جبنهم وهلعهم لا يقدرون على مواجهة جيش الإسلام بالمبارزة والمقاتلة بل إما في حصون أو من وراء جدر، فهي جدر كثيرة يستترون بها في القتال، وعلى قراءة (جدار) فالمعنى أن كل فرقة منهم وراء جدار أو المراد به السور، فهو سور واحد يعم جميعهم ويسترهم (تفسير ابن كثير - سورة الحشر:١٤، الكشف لمكي بن أبي طالب ٢/٤١٦-٤١٧).

ومن سورة الصف

قوله تعالى: (فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ) (الصف:٦).

القراءات: قرأ حمزة والكسائي وخلف (ساحر) والباقون (سحر).

المعنى: من قرأ (ساحر) جعل الإشارة إلى الرسول (عيسى أو أحمد صلى الله عليهما وسلم)، فأخبر عنهم أنهم قالوا إن هذا إلا ساحر، ومن قرأ (سحر) جعله وصفهم ما جاء به من البينات؛ أي ما جاء به من الآيات الخوارق إلا سحر، ويحتمل أن تكون القراءتان بمعنى واحد فتكون الإشارة إلى الرسول أنه نفس السحر مبالغة، كما يقال: (رجل عدل)، أو على حذف مضاف أي ذو سحر (لطائف الإشارات للقسطلانى٤/١٣٩).

قوله تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ) (الصف:١٤).

القراءات: قرأ نافع وأبو جعفر وابن كثير وأبو عمرو (أنصاراً لله)، وقرأ الباقون (أنصار الله).

المعنى: على قراءة الإضافة (أنصارَ الله) أي دوموا على ذلك فهم أنصار الله من قبل، وانما حضهم على الثبات والدوام على النصرة لدين الله، وفيها معنى التخصيص، والمعنى على قراءة التنوين: كونوا من جملة من ينصر الله، أو انصروا دين الله فيما تستقبلون، وقيل المعنى واحد في القراءتين (الكشف ٢/٤٢١، لطائف الإشارات ٨/٣٨٧، معاني القراءات للأزهري ص ٥١٦).

ومن سورة التحريم

قوله تعالى: (وَإِذۡ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعۡضِ أَزۡوَٰجِهِۦ حَدِيثٗا فَلَمَّا نَبَّأَتۡ بِهِۦ وَأَظۡهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ عَرَّفَ بَعۡضَهُۥ وَأَعۡرَضَ عَنۢ بَعۡضٖۖ) (التحريم:٣).

القراءات: (عرف) قرأ الكسائي بتخفيف الراء وغيره بتشديدها.

المعنى: أسرَّ النبي صلى الله عليه وسلم إلى حفصة رضي الله عنها بسرَ وأمرها ألا تخبر به أحدًا، فحدَّثت به عائشة رضي الله عنها، وأخبره الله بذلك الخبر الذي أذاعته، فعرَّفها ببعض ما قالت وأعرض عن بعضه كرمًا منه وحلمًا (تفسير السعدي- سورة التحريم:٣)، وعلى قراءة الكسائي أي جازى بالعتب واللوم على بعض وأعرض عن بعض فلم يجازها عليه تكرمًا وحسن عشرة، تقول لأعرفن لك ذلك: أي لأجازينك، وكقوله

تعالى: (وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ) (البقرة: ١٩٧)؛ أي: يجازيكم به الله (تفسير البحر المحيط ٨/٤٠٨، الكشف ٢/٤٢٥).

قوله تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا) (التحريم:٨).

القراءات: قرأ شعبة (نصوحا) بضم النون، وفتحها غيره.

المعنى: على قراءة (نَصوحا): صفة للتوبة وهي صيغة مبالغة على وزن (فعول)؛ أي توبة بالغة في النصح لصاحبها، وعلى قراءة (نُصوحا) أنها مصدر، فالتائب ينصح نفسه نصوحًا أي يخلّص توبته من الشوائب (تفسير البحر المحيط ٨/٤١٢، معاني القراءات للأزهري ص ٥٢٣).

الجزء السابع والعشرون

من سورة الذاريات

قوله تعالى: (قَالَ سَلَٰمٞ قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ) (الذاريات:٢٥).

القراءات: قرأ حمزة والكسائي (قال سلْمٌ) وقرأ غيرهما (قال سلامٌ).

المعنى: على قراءة (سلام) تقديره سلام عليكم فحذف الخبر، أو أمري سلام وشأني سلام، فحذف المبتدأ، وقد سلم الملائكة على خليل الرحمن (فقالوا سلاما) بالنصب، وردّ الخليل التحية بأحسن منها؛ لأن الرفع أقوى وأثبت من النصب، وأما قراءة (سلْمٌ) فتحتمل أن تكون بمعنى سلام فهما لغتان بمعنى التحية (مثل حل وحلال، وحرم وحرام)، أو تكون سلم خلاف العدو والحرب كأنهم لما كفوا عن تناول طعامه قال لهم أنا سلم ولست بحرب ولا عدو (الحجة في القراءات السبعة لأبي علي الفارسي ٤/٣٦٣).

قوله تعالى: (فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَهُمۡ يَنظُرُونَ) (الذاريات:٤٤).

القراءات: قرأ الكسائي (الصعْقة) وقرأ غيره (الصاعقة).

المعنى: (الصاعقة) التي تقع من السماء فتحرق، و(الصعقة): الزجرة وهي الصوت عند نزول الصاعقة، وقيل: هما سواء (الكشف لمكي بن أبي طالب ٢/٣٨٨).

قوله تعالى: (وَقَوۡمَ نُوحٖ مِّن قَبۡلُۖ) (الذاريات:٤٦).

القراءات: قرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي وخلف بخفض الميم، والباقون بنصبها.

المعنى: من قرأ (وَقَوۡمِ نُوحٖ) بالكسر عطفه على قوله (وفى موسى إذ أرسلناه) أي في إرسال موسى بالبينات والحجج آية، وفى قوم نوح آية، ومن قرأ بالنصب (وقوم نوح) عطف على معنى: (فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ) أي أهلكناهم وأهلكنا قوم نوح، أو عطف على قوله (فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم) أي أغرقناه وجنوده وأغرقنا قوم نوح (حجة القراءات لابن زنجلة ص ٣٥٧).

ومن سورة الطور

قوله تعالى: (وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ) (الطور:٢١).

معنى الآية: يخبر تعالى عن فضله وكرمه وامتنانه أن المؤمنين إذا اتبعتهم ذرياتهم في الإيمان يلحقهم بآبائهم في المنزلة وإن لم يبلغوا عملهم؛ لتقر بذلك أعينهم (تفسير ابن كثير- سورة الطور: ٢١).

القراءات: (واتبعتهُم- وأتبعْناهُم) (ذريتهم- ذرياتهم)، ورفع الموضع الأول للذرية ونصبه (لتفصيل اختلاف القراء يراجع البدور الزاهرة للشيخ عبد الفتاح القاضي ص ٨٦١-٨٦٢).

المعنى: من قرأ بالجمع (ذرياتهم) فلكثرة ذرية المؤمنين، ومن قرأ بالإفراد فلأن لفظ الذرية يقع للواحد والجمع، ومن قرأ (واتبعتهُم) فللدلالة على أن الذرية اتبعوا منهاج آبائهم في الإيمان، ومن قرأ (وأتبعْناهُم) أسند الفعل إلى الله فهو الذي يوفق من يشاء من ذرية المؤمنين إلى الإيمان (الحجة في القراءات لابن خالويه ص ٢١٧).

وللحديث صلة، والحمد لله رب العالمين.

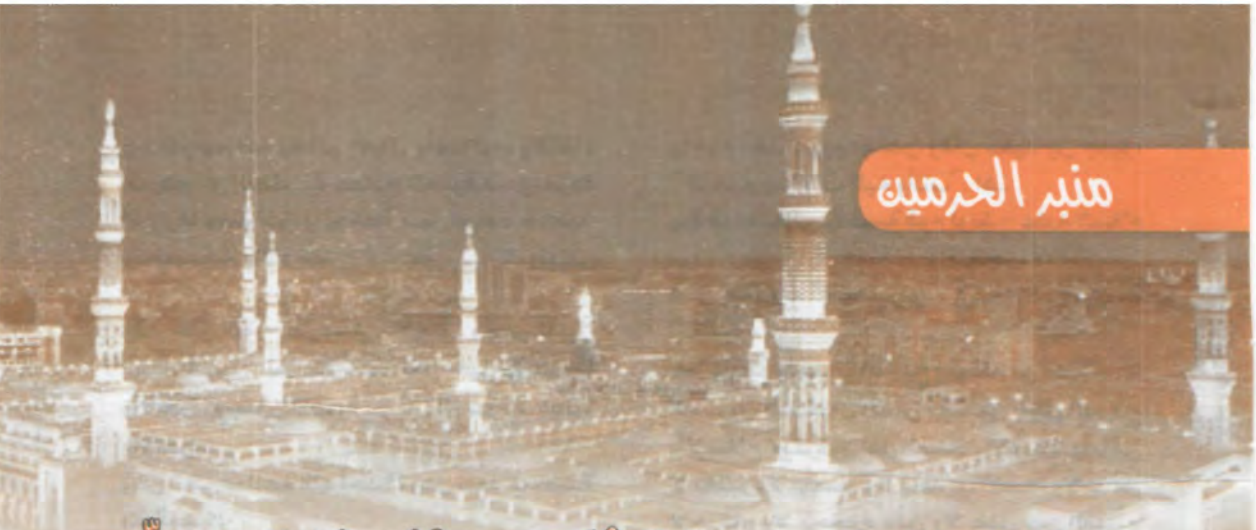

الاعتبار والتفكر في خلق الله

إعداد **الشيخ د: علي عبد الرحمن الحذيفي**

خطيب المسجد النبوي الشريف

الحمدُ لله علَّام الغيُوب، مُقلِّب القلوب، غفَّار الذنوب، أحمدُ ربي وأشكرُه على نعمِه التي لا يُحصيها غيرُه، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له المُلكُ وله الحمدُ، وهو على كل شيءٍ قديرٌ، وأشهدُ أن نبيَّنا وسيِّدَنا محمدًا عبدُه ورسولُه البشيرُ النَّذيرُ، اللهم صلِّ وسلِّم وبارِك على عبدِك ورسولِك محمدٍ، وعلى آله وصحبِه الذين تولَّاهم الله فنِعمَ المولَى، ونعمَ النَّصير.

أما بعد: فاتَّقُوا الله - سبحانه - في سِرِّكم وعلانيَتكم؛ ليتولَّى أمورَكم، ويُصلِحَ أحوالَكم، فالتقوَى نَهجُ الصالِحين المُفلِحين، وحرمانُها هو الخُسرانُ المُبين.

عباد الله: كُونُوا من أهل البصائر والإيمان، واتَّبِعُوا سُبُل ذَوِي الألباب والإحسان؛ فأولو الألباب هم أهلُ العقول المُستقيمة، والفطر السليمة، وهم الذين ينتَفِعُون بالوحي، ويفهَمُون معاني ما أنزَل الله على مُراد الله ومُراد رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، ويعملُون بكلام الله؛ رجاءَ ثوابه، وخوفًا من عقابه.

قال الله تعالى: (وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ الَّذِينَ هَدَىٰهُمُ اللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ الْأَلْبَٰبِ) (الزمر: ١٧، ١٨).

الاعتبارُ من أعمال العقول المُستنيرة، ومن أعمال البَصيرة الخَبيرة، الاعتبارُ يهدي إلى الفوز والنَّجاة من المَهلكات، ويُوفِّق صاحبَه إلى عمل الصالِحات، ويرشُدُ به صاحبُه إلى طريق الصالِحين المُصلحين، وتكونُ عواقبُه إلى الخيرات.

ومَن حُرِمَ الاعتبار لم ينفَعه الادِّكار، ووقَع في الهلكات، واتَّبعَ الشهوات، واتَّبعَ سُبُل المُفسدين، فصار من النادِمين.

الاعتبارُ هو الانتقالُ من حالة مُشاهَدة، أو حالة ماضيَة ذات عقوبة ونكالٍ إلى حالة حسنة، باجتناب أسباب العقوبة والنَّكال، أو الانتقال من سيرة الصالِحين

وما أكرمهم الله به إلى العمل بأعمالهم، واقتفاء آثارهم، أو التفكر في طبائع المخلوقات، ومعرفة أسرارها وصفاتها، والحكمة منها لعبادة خالقها، وتخصيصه بالتوحيد والطاعة - تبارك وتعالى -.

وقد خلق الله - عز وجل - الخلق، وجعل للكون سننا، فجعل الطاعة سببا لكل خير في الدنيا والآخرة، وجعل المعصية سببا لكل شر في الدنيا والآخرة.

وهل شقي بطاعة الله أحد؟! وهل سعد بمعصية الله أحد؟!

وقد قص الله - سبحانه - علينا في كتابه، وقص علينا رسوله - صلى الله عليه وسلم - من قصص وأحوال الأنبياء والمرسلين والمؤمنين ما فيه العبر، وما فيه القدوة لمن بعدهم، وما فيه النجاة من العقوبات، والفوز بالخيرات، وما فيه أحسن العواقب ورفع الدرجات.

قال الله تعالى: (لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) (يوسف: ١١١)، وقال - سبحانه: (ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا ۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ الْمُؤْمِنِينَ) (يونس: ١٠٣)، وقال - سبحانه - عن المكذبين: (وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٥٠) فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ (٥١) فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٥٢) وَأَنجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ) (النمل: ٥٠- ٥٣).

ولما ذكر الله قصص كثير من الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - في سورة الشعراء، ختم القصة بعد نجاة رسله والمؤمنين معهم بقوله تعالى: (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ (١٩٠) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ) (الشعراء: ١٩٠، ١٩١).

قال ابن كثير - رحمه الله -: "إن في ذلك لآية: أي: في هذه القصة وما فيها من العجائب والنصر، والتأييد لعباد الله المؤمنين لدلالة وحجة قاطعة، وحكمة بالغة، وان ربك لهو العزيز: أي: الذي عز كل شيء وغلبه وقهره، الرحيم: أي: بخلقه، فلا يعجل على من عصاه، بل ينظره ويؤجله ثم يأخذه أخذ عزيز مقتدر. وقال سعيد بن جبير: "الرحيم بمن تاب إليه وأناب". اهـ.

وفي قوله تعالى في قصة قوم لوط - عليه السلام -: (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ) (الحجر: ٧٥).

قال قتادة: "للمعتبرين"، ذكره البغوي في "تفسيره".

فلا ينتفع بأحداث التاريخ والحكم من أحواله إلا المعتبرون المتفكرون الذين يقتدون بأهل الصلاح والإصلاح، ويتركون أهل الفساد والإفساد، وأما من لا يعتبر ولا يتعظ، ولا يحاسب نفسه، ولا يعمل لآخرته، ولا يحجزه دين ولا عقل عن القبائح والآثام فهو كالبهيمة، قال الله تعالى: (أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا) (الفرقان: ٤٤)، وقال - تبارك وتعالى -: (وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ)(يوسف: ١٠٥).

وفي الحديث عن النبي - صلى الله عليه وسلم -: "إن المؤمن إذا مرض فأصابه السقم ثم مات، كان كفارة لذنوبه فيما مضى، وان أعفاه الله منه، كان كفارة لما مضى وموعظة لما يستقبل، وان المنافق إذا مرض ثم أعفي، كان كالبعير عقله أهله ثم أرسلوه، فلم يدر لم عقلوه ولا لم أرسلوه"(رواه النسائي).

وما ذكر الله سيرة الأنبياء والمرسلين، وخاتمهم نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - إلا لنعتبر بتاريخهم، ونقتدي بهديهم وأخلاقهم، ونسلك طريقهم، وقد أمر الله نبيه محمدا - صلى الله عليه وسلم - بالاقتداء بهم، فقال - سبحانه -: (أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۖ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ) (الأنعام: ٩٠)، وقال تعالى: (فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ) (الأحقاف: ٣٥)، وقال تعالى عن مؤمن ياسين: (يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ (٢٠) اتَّبِعُوا مَن لَّا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ)(يس: ٢٠، ٢١).

وخاتمهم نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - الذي نسخ الله به الشرائع كلها، وبعثه بأكمل دين وتشريع أبدي، وتكفل الله لمن تمسك بهديه أن يحيا حياة طيبة في الدنيا وفي الآخرة، وأن يدخله مع خير خلقه في دار السلام، قال الله تعالى: (وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ

عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّـۧنَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَآءِ وَالصَّـٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُولَـٰٓئِكَ رَفِيقًا)(النساء: ٦٩).

فأيّ تكريم أعظم من هذا؟! وأيّ رفعة تداني هذه المنزلة؟!

وكما قصّ الله تعالى علينا قصص الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - والمؤمنين بهم: لنقتدي بهم، ونسلك طريق النجاة معهم، ونعتبر بسيرتهم، ونعلم أحوالهم. قصّ الله تعالى علينا أيضا أخبار المكذبين لهم، والمعاندين للحق، والمستكبرين عن اتباعهم، المؤثرين للحياة الدنيا على الأخرة، المتبعين للشهوات والملذات، لنعتبر بعقوباتهم، ونتعظ بما حل بهم من خزي الدنيا وعذاب الأخرة، ونحذر من اللعنة التي حقت عليهم.

قال الله تعالى: (وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَـٰكِنِهِمْ ۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا۟ مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَـٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِالْبَيِّنَـٰتِ فَاسْتَكْبَرُوا۟ فِى الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَـٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) (العنكبوت: ٣٨- ٤٠). وقال تعالى في قصة بني النضير: (فَاعْتَبِرُوا۟ يَـٰٓأُو۟لِى الْأَبْصَـٰرِ) •الحشر: ٢).

وتاريخ الرُسل - صلوات الله وسلامه عليهم - مع المكذبين المحادين لله والرُسل يعلمها الناس، وتعرفها الأجيال الآخر عن الأول، وهي من أكبر حُجج الله تعالى على خلقه في تأييد الحق وأهله، ومعرفة التوحيد والدعوة إليه، ونصر الموحدين وحُسن عاقبتهم، وفي إبطال الباطل والشرك، والتحذير منه، وعقوبات المشركين المعرضين.

وأما الاعتبار بطبائع المخلوقات، واستكشاف حكمها وصفتها، والتفكر في بديع صُنعها، فغايته وثمرته توحيد الله - عز وجل -وعبادته وطاعته، فالمتفرد بالخلق هو المعبود بحق، قال الله تعالى: (وَإِنَّ لَكُمْ فِى الْأَنْعَـٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّـٰرِبِينَ) (النحل: ٦٦)، وقال تعالى: (يُقَلِّبُ اللَّهُ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى الْأَبْصَـٰرِ) (النور: ٤٤)، وقال -عز وجل-: (قُلِ انظُرُوا۟ مَاذَا فِى السَّمَـٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى الْـَٔايَـٰتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ)(يونس: ١٠١).

فالتفكّرُ في مخلوقات الله عبادةٌ من المُسلم، والاعتبارُ بهذه المخلوقات يزيدُ المُسلمَ إيمانًا، ويزيدُه رُسوخا في اليقين، قال الله تعالى: (إِنَّ فِى السَّمَـٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ لَـَٔايَـٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ) (الجاثية: ٣).

فالتفكرُ والاعتبارُ يُثبتُ المرتاب، ويُحيي القلوب، ويُنوّرُ البصائر، ويُقيمُ السُلوك، والإعراضُ عن التفكّر والاعتبار يُقسّي القلب، ويُورثُ الغفلة، ويقودُ إلى الندامة، ويُوقعُ في المعصية؛ فالغفلة بابٌ من أبواب الشيطان.

عن أبي هريرة -رضي الله عنه-، أن النبيّ - صلى الله عليه وسلم - قال في الإسراء: "فلما نزلت إلى السماء الدنيا فنظرت أسفل مني، فإذا أنا بريح وأصوات ودخان، فقلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذه شياطين يحرقون على أعين بني آدم لا يتفكروا في ملكوت السماوات والأرض، ولولا ذلك لرأوا العجب" (رواه أحمد).

قال الله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَـٰٓئِفٌ مِّنَ الشَّيْطَـٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى الْغَىِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ)(الأعراف: ٢٠١، ٢٠٢).

عباد الله: حاسبُوا أنفسكم قبل أن تُحاسبُوا، ولينظر أحدُكم في عواقب الأمور، ونفاد الأجل؛ فمن كثر اعتبارُه قل عثارُه، ومن حذر المعاصي والآثام عاش في سلام، ووُفق لحسن الختام، والسعيدُ من اتعظ بغيره، والمغبُون من وُعظ به غيرُه.

ولقد ذمّ الله تعالى من اتبعوا الأهواء ولم يعتبرُوا، ولم يتعظوا بما أتاهم من الأنباء، قال الله تعالى: (وَكَذَّبُوا۟ وَاتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ الْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ) (القمر: ٣، ٤).

ألا إن لله -سبحانه وتعالى- سُننا في الثواب والعقاب: فمن صادم سُنن الله سحقته واضمحل، وانحط وذل، قال الله تعالى: (سُنّة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسُنّة الله تبديلا) (الأحزاب: ٦٢).

وفي الحديث: "أكثروا ذكر هاذم اللذات الموت". فمن ذكر الموت حسُن عمله، ومن نسي الموت ساء عمله.

والحمد الله رب العالمين.

عقيدة أهل السنة والجماعة في الشهادة بالجنَّة أو النار لمن مات (١)

إعداد **المستشار / أحمد السيد علي إبراهيم**
نائب رئيس قضايا الدولة

الحمد لله حمدًا لا ينفد، أفضل ما ينبغي أن يُحمد، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه ومن تعبَّد، أما بعد:

فقد كثر اللغط في الآونة الأخيرة حول مسألة حكم من مات على غير الإسلام، وهل يجوز الشهادة له بالنار أم لا، وهل يجوز الترحُّم عليه أم لا؟ وكذا هل يجوز القطع بالجنة لمن مات على الإسلام؟ وامتلأت صفحات التواصل الاجتماعي بالجدل العقيم كلما مات أحدٌ من غير المسلمين، فأحببتُ أن أبين عقيدة أهل السنة والجماعة في الشهادة بالجنة أو النار لمن مات، وذلك على التفصيل الآتي:

الوقفة الأولى: الشهادة للأنبياء والرسل بأنهم في أعلى عليين في الجنة:

قبل أن نشرع في الكلام عن المشهود لهم بالجنة والنار من البشر لا بد أن نقرِّر حقيقة مهمة لا تخفى على كل ذي عقل من الناس أيًا كانت ديانته، ألا وهي أن الأنبياء والمرسلين أفضل خلق الله، وأن أفضلهم رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم، وأنهم الآن تنعم أرواحهم في أعلى عليين في الجنة، وأجسادهم في قبورهم.

واعلم -أيها القارئ الكريم- أن عدد الأنبياء مائة وأربعة وعشرون ألف نبي، والرسل منهم ثلاثمائة وخمسة عشر، فعن أبى ذر رضى الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، كم المرسلون؟ قال: «ثلاثمائة وبضعة عشر جمًا غفيرًا، وفي رواية: قال أبو ذر: قلت: يا رسول الله، كم وفاء عدد الأنبياء؟ قال: مائة ألف وأربعة وعشرون ألفًا، الرسل من ذلك ثلاثمائة وخمسة عشر جمًا غفيرًا» (رواه أحمد في مسنده، وصححه الألباني).

هذا العدد الكثير من الأنبياء نؤمن به إجمالًا، لكننا لا نعرف تفاصيل أخبارهم،

كثر اللغط في الأونة الأخيرة حول مسألة حكم من مات على غير الإسلام، وهل يجوز الشهادة له بالنار أم لا، وهل يجوز الترحُم عليه أم لا؟ وكذا هل يجوز القطع بالجنة لمن مات على الإسلام؟ وامتلأت صفحات التواصل الاجتماعي بالجدل العقيم كلما مات أحدٌ من غير المسلمين.

ولا نعرف من أسمائهم إلا عددًا قليلًا منهم، وهو ما ورد في القرآن والسنة، والباقي لم يقصصهم الله علينا؛ قال تعالى: «وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ» (النساء: ١٦٤)، وقال تعالى: «وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ» (غافر: ٧٨).

وهؤلاء الرسل والأنبياء الذين ذكرهم الله في القرآن خمسة وعشرون نبيًا، من ورد ذكره باسمه من الأنبياء في القرآن والسنة فهو في الجنة تفصيلاً، على وجه الخصوص، ومن لم يرد ذكره فهو في الجنة إجمالا.

الوقفة الثانية: المشهود لهم بالجنة، والنار من سائر البشر:

بالبحث، ومراجعة ما أمكن مراجعته من آيات القرآن الكريم، وسنة النبي صلى الله عليه وسلم، أمكن تحديد سبعة وسبعين رجلاً وامرأة من المشهود لهم بالجنة والنار، تسعة وثلاثين شهد لهم بالجنة، وثمانية وثلاثين شهد لهم بالنار، وذلك على التفصيل الآتي:

المشهود لهم بالجنة:

أوحى الله إلى نبيه صلى الله عليه وسلم بمكانة بعض الصالحين من أمته، ومن الأمم السابقة في الجنة، فذكر النبي صلى الله عليه وسلم أشخاصا بذواتهم، وأسمائهم، وأشخاصا على العموم، وبتتبع ما أمكن تتبعه تبين أنهم تسعة وثلاثون شخصا بذواتهم، وأكثر من ذلك على العموم، وذلك على التفصيل الآتي:

النوع الأول: من ذكروا على الخصوص، والتفصيل بذواتهم:

أولاً: من الرجال:

أ - من أمة الإسلام:

١- العشرة المبشرون بالجنة:

العشرة المبشرون بالجنة، هم: ١- أبو بكر الصديق، ٢- عمر بن الخطاب، ٣- عثمان بن عفان، ٤- عليّ بن أبي طالب - وهؤلاء هم الخلفاء الأربعة - ٥- طلحة بن عبيد الله، ٦- الزبير بن العوام، ٧- سعد بن أبي وقاص، ٨- عبد الرحمن ابن عوف، ٩- أبو عبيدة عامر بن الجراح ١٠- سعيد بن زيد.

ويثور التساؤل هل هؤلاء العشرة فقط هم المبشرون بالجنة؟

والجواب: لا، هناك آخرون مبشرون. إذًا، لماذا سُمي هؤلاء العشرة المبشرون وهناك آخرون؟ نقول: لأنهم جمعوا في حديث واحد، وإلا فهنالك آخرون، منهم:

١١- عبد الله بن سلام رضي الله عنه.
١٢- الحسن، والحسين رضي الله عنهما.
١٣- حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه.
١٤- جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه.
١٥- ثابت بن قيس رضي الله عنه.
١٦- بلال بن رباح رضي الله عنه.
١٧- زيد بن حارثة رضي الله عنه.
١٨- حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه.
١٩- عكاشة بن محصن رضي الله عنه.
٢٠- سعد بن معاذ رضي الله عنه.
٢١- حارثة بن سراقة رضي الله عنه.
٢٢- حارثة بن النعمان رضي الله عنه.

> ذهب بعض أهل العلم إلى أن جميع الصحابة من المهاجرين والأنصار في الجنة.

٢٣- عمرو بن الحمام رضي الله عنه.

٢٤- زيد بن عمرو بن نفيل رضي الله عنه.

٢٥- أبو الدحداح رضي الله عنه.

٢٦- معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه.

٢٧- رجل من الأنصار رضي الله عنه.

ب- من الأمم السابقة:

١- ورقة بن نوفل.

٢- رجل من بني إسرائيل سقى كلبًا.

ثانيًا: من النساء:

أ- من أمة الإسلام:

١- خديجة رضي الله عنها.

٢- عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها.

٣- فاطمة بنت محمد رضي الله عنها.

٤- الرميصاء بنت ملحان رضي الله عنها.

٥- أم حرام بنت ملحان رضي الله عنها.

٦- المرأة السوداء رضي الله عنها.

٧- المرأة التي كانت لا تؤذي جيرانها رضي الله عنها.

ب- من الأمم السابقة:

١- ٢- آسية بنت مزاحم امرأة فرعون، ومريم ابنة عمران.

٣- امرأة بغي من بني إسرائيل سقت كلبًا.

النوع الثاني: من ذكروا على العموم:

وما ذكرناه من أسماء ما تيسر جمعه، وحصره، ولا يعني هذا العدد أنه على سبيل الحصر، وإنما نقلت ما جاءت به النصوص الصحيحة الصريحة، وقد شهد النبي صلى الله عليه وسلم لخلائق بالجنة على سبيل العموم، منهم:

١- أهل بدر رضي الله عنهم.

٢- أهل بيعة الرضوان رضي الله عنهم.

٣- أول جيش يغزون البحر رضي الله عنهم.

٤- جميع الصحابة رضي الله عنهم.

ذهب بعض أهل العلم إلى أن جميع الصحابة من المهاجرين والأنصار في الجنة: حيث إن الله وعدهم كما قال: «وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ» (التوبة: ١٠٠).

وللحديث بقية إن شاء الله. والحمد لله رب العالمين.

عزاء واجب

إنا لله وإنا إليه راجعون

يتقدم مجلس إدارة جمعية أنصار السنة المحمدية بمصر ورئيسه العام وأسرة تحرير مجلة التوحيد لأسرة فضيلة الشيخ: حسن عبد الوهاب مرزوق البنا بخالص العزاء في وفاة الشيخ سائلين الله تعالى أن يتغمده بواسع رحمته وأن يبدله زوجا خيرا من زوجه وأهلاً خيرا من أهله وأن يبدله بالحسنات إحسانا وبالسيئات عفوا منه وغفرانا

جماعة أنصار السنة المحمدية

تأسست عام 1345هـ - 1926م

ومن أهدافها

- الدعوة إلى التوحيد الخالص من جميع الشوائب، وإلى حب الله حبًّا صحيحًا صادقًا يتمثل في طاعته وتقواه، وحب رسول الله صلى الله عليه وسلم حبًّا صادقًا يتمثل في الاقتداء به واتخاذه أسوةً حسنة.

- الدعوة إلى أخذ الدين من نبعيه الصافيين - القرآن الكريم، والسنة الصحيحة - ومجانبة البدع والخرافات ومحدثات الأمور.

- الدعوة إلى ربط الدنيا بالدين بأوثق رباط: عقيدةً وعملاً وخلقًا.

- الدعوة إلى إقامة المجتمع المسلم، والحكم بما أنزل الله، فكل مشرِّع غيره - في أي شأن من شئون الحياة - معتد عليه سبحانه، منازع إياه في حقوقه.

مفاجأة

التوحيد
أوسع المجلات
الإسلامية انتشاراً في العالم
٤٠
مجلداً
اطلبوها من باعة الصحف والمكتبات
٨ شارع قولة . عابدين ت: ٢٩٣٦٥١٧ - ٢٩١٥٤٥٦

سعر الكرتونة

٨٠٠ جنيه مصري بدلا من ١٠٥٠

هدايا
قيمة

لأول ١٠٠ من المشترين

صدر حديثاً مجلد عام ١٤٣٩-١٤٤٠ بسعر ٦٠ جنيهاً للنسخة

يوجد اعداد مجلدات لسنوات مختلفة سعر المجلد الواحد ٢٥ جنيهاً بدلا من ٤٠ جنيه

للحصول على الكرتونة الاتصال على الأستاذ / ممدوح عبد الفتاح : مدير قسم الحسابات بالمجلة

01008618513